ألف ليلة وليلة



39

A

علي بن بكار وشمس النهار

ألف ليلة وليلة

١٠

على بن بكار وشمس النهار

راجعها

سعيد جوده السحار و عبد الستار فراج

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

حكاية على بن بكار مع شمس النهار

١٥٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المئة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أنه كان فى قديم الزمان ، فى خلافة هرون الرشيد ، رجل تاجر له ولد يسمى أبا الحسن على بن طاهر ؛ وكان كثير المال والنوال ، حسن الصورة ، محبوباً عند كل من يراه ؛ وكان يدخل دار الخلافة من غير إذن ، ويحبه جميع سرارى الخليفة وجواريه . وكان ينادمه وينشد عنده الأشعار ، ويحدثه بنوادر الأخبار ، إلا أنه كان يبيع ويشترى فى سوق التجار . وكان يجلس على دكانه شاب من أولاد ملوك العجم ، يقال له على بن بكار ؛ وكان ذلك الشاب مليح القامة ، ظريف الشكل ، كامل الصورة ، عذب الكلام ، ضاحك السن ، يحب البسط والانشراح . فاتفق أنهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان ، وإذا بعشر جوار كأنهن الأقمار ، وكل منهن ذات حسن وجمال ، وقدّ واعتدال ، وبينهن صبية راكبة على بغلة ، بسرج مزركش ، له ركاب من الذهب ، وعليها إزار رفيع ، وفى وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب ، كما قال فيها الشاعر :

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشى لا هُراء ولا نَزْرُ

وعينان قال الله كونا فكانتا … فعولان بالألباب ما تفعل الخمرُ
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة … ويا سلوة الأحباب موعدك الحشرُ

فلما وصلت إلى دكان أبى الحسن ، نزلت عن البغلة ، وجلست على دكانه ، فسلمت عليه وسلم عليها . فلما رآها على بن بكار سلبت عقله ، وأراد القيام ، فقالت له : اجلس مكانك ، كيف تذهب إذا حضرنا ؟ هذا ما هو إنصاف .

فقال: والله يا سيدتى إنى هارب مما رأيت ، وما أحسن قول الشاعر :

هى الشمس مسكنها فى السماء … فعز الفؤاد عزاء جميـلا
فلن تستطيع إليها الصعود … ولن تستطيع إليك النزولا

فلما سمعت ذلك الكلام تبسمت ، وقالت لأبى الحسن : ما اسم هذا الفتى ؟ ومن أين هو ؟

فقال لها : هذا غريب اسمهُ على بن بكار ، ابن ملك العجم ، والغريب يجب إكرامه .

فقالت له : إذا جاءتك جاريتى فائْتِ به عندى .

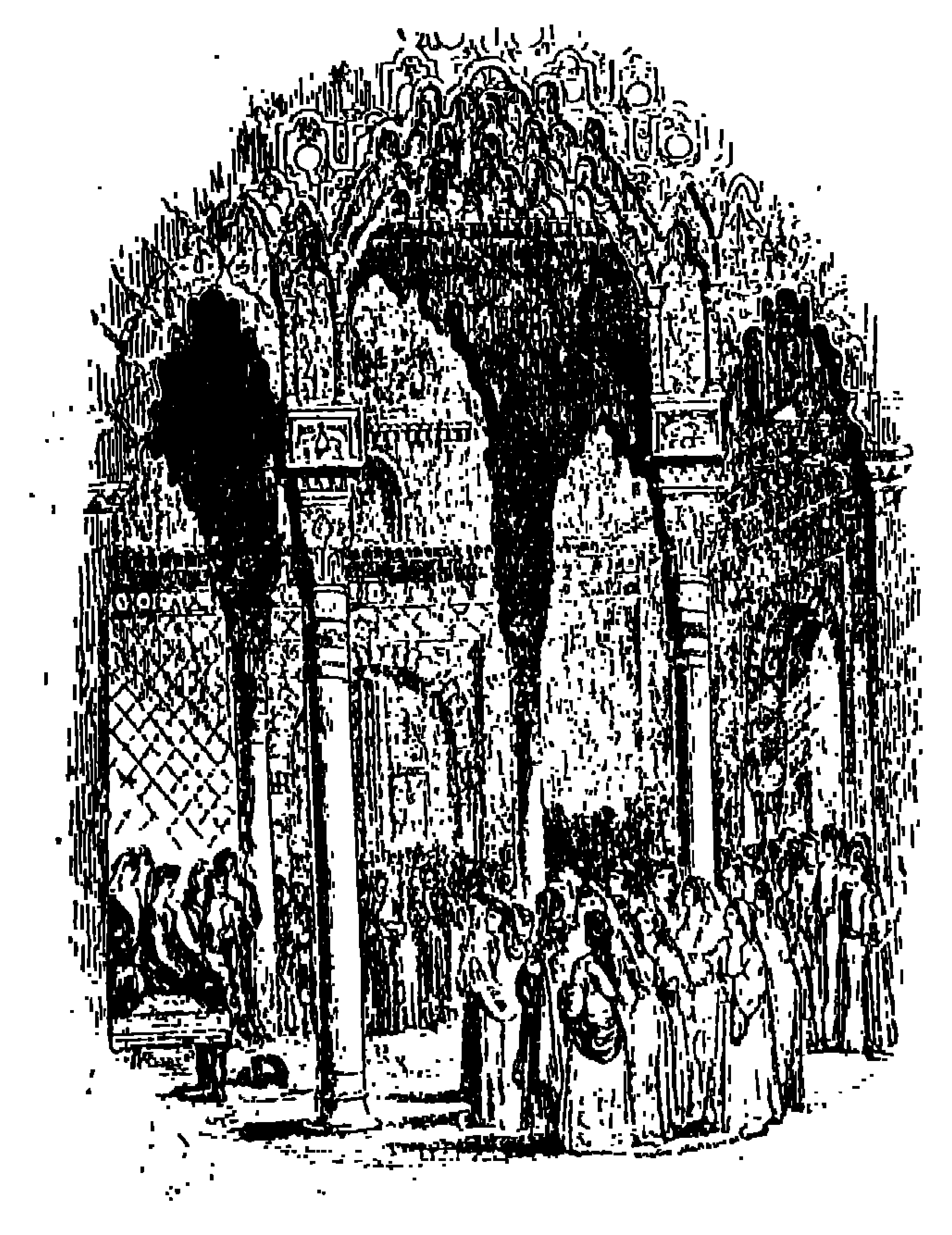
فقال أبو الحسن : على الرأس .

ثم قامت وتوجهت إلى حال سبيلها .

هذا ما كان من أمرها ، وأما ما كان من أمر على بن بكار ،

فإنه صار لا يعرف ما يقول . و بعد ساعة جاءت الجارية إلى أبي الحسن ، وقالت له : إن سيدتى تطلبك أنت ورفيقك .

فنهض أبو الحسن، وأخذ معه على بن بكار ، وتوجها إلى دار هرون الرشيد . فأدخلتهما فى مقصورة ، وأجلستهما ، و إذا بالموائد وضعت قدامهما ، فأكلا وغسلا أيديهما ؛ ثم أحضرت لهما الشراب فشربا ، ثم أمرتهما بالقيام فقاما معها ، وأدخلتهما مقصورة أخرى مركبة على أربعة أعمدة ، وهى مفروشة بأنواع الفرش ، مزينة بأحسن الزينة ، كأنها من قصور الجنان، فاندهشا مما عاينا من التحف . فبينما هما يتفرجان على هذه الغرائب إذ بعشر جوار أقبلن يتمايلن عجبا كأنهن الأقمار ، يدهشن الأبصار ، ويحيرن الأفكار ، واصطففن كأنهن من حور الجنان . وجاء بعدهن عشر جوار أخر ، وبأيديهن العيدان وآلات اللهو والطرب ، فسلمن عليهما ، وجعلن يضربن العيدان ، وينشدن الأشعار ، وكل واحدة منهن فتنة للعباد . وأقبل بعدهن عشر جوار مثلهن ، كواعب أتراب ، بعيون سود ، وخدود حمر ، مقرونات الحواجب ناعسات الأطراف ، فتنة للعابدين، ونزهة للناظرين، وعليهن من أنواع الحرير الملون ما يحير العقول ، ثم وقفن بالباب . وجاء من بعدهن عشر جوار أحسن منهن ، وعليهن الملبوس الفاخر ، فوقفن بالباب أيضا . ثم خرج من الباب عشرون جارية ، و بينهن جارية اسمها



شمس النهار ، كأنها القمر بين النجوم ، وهى متوشحة بفاضل شعرها ، وعليها لباس أزرق و إزار من الحرير ، بطراز من الذهب ، وفى وسطها حِيَاصَة مرصعة بأنواع الجواهر ولم تزل تتبختر حتى جلست على السرير ، فلما رآها على بن بكار ، أنشد هذه الأشعار :

إن هذى هى ابتداء سقامى وتمادى وجدى وطول غرامى .

عندها قد رأيت نَفْسِيَ ذابتْ　　من وَلوعى بها و بَرْيِ عظامى

فلما فرغ من شعره قال لأبى الحسن : لو عملت معى خيرا كنت أخبرتنى بهذه الأمور قبل الدخول هنا ، لأوطن نفسى وأصبرها على ما أصابها .

ثم بكى ، وأنّ واشتكى ، فقال له أبو الحسن : يا أخى أنا ما أردت لك إلا الخير ، ولكن خشيت أن أعلمك بذلك فيلحقك من الوجد مايصدّك عن لقائها ، ويحول بينك و بين وصالها فطب نفسا ، وقرّ عينا ، فهى بسعدك مقبلة ، وللقائك متوصلة .

فقال على بن بكار : ما اسم هذه الصبية ؟

فقال له أبو الحسن : تسمى شمس النهار ، وهى من محاظى أمير المؤمنين هرون الرشيد ، وهذا المكان قصر الخلافة .

ثم إن شمس النهار جلست وتأملت محاسن على بن بكار ، وتأمل هو حسنها ، واشتغلا بحب بعضهما بعضا ؛ وقد أمرت الجوارى أن تجلس كل واحدة منهن فى مكانها على سرير ؛ فجلست كل واحدة تجاه طاقة . وأمرتهن بالغناء ، فتسلمت واحدة منهن العود وأنشدت تقول:

أعِدِ الرسالة ثانيهْ　　وخذ الجواب علانيهْ
و إليك يا ملك الملا　　ح وقفت أشكو حاليهْ
مولاى يا قلبى العزيز　　و يا حياتى الغاليهْ

أنعِمْ عليّ بقبـــلةٍ هبَـةً وإلاّ عاريهْ
وأردها لك — لا عُدِمتَ — بعينها وكما هيهْ
وإذا أردت زيادة خذها ونفسى راضيه
يا مابسى ثوب الضنى يهنيك ثوب العافيـه

فطرب على بن بكار ، وقال : زيدينى من مثل هذا الشعر . فحركت الأوتار ، وأنشدت هذه الأشعار :

من كثرة البعد يا حبيبى علّمت طول البكا جفونى
يا حظّ عينى ويا مناها ومنتهى غايتى ودينى
ارثِ لمن طرفه غريق فى عبرة الواله الحزين

فلما فرغت من شعرها ، قالت شمس النهار لجارية غيرها : أنشدى. فأطربت بالنغمات ، وأنشدت هذه الأبيات :

وجهٌ لمصباح السماء مباهى يبدو الشبابُ عليه رَشْحَ مياهِ
رقم العِذار غِلالتيه بأحرف معنى الهوى فى طيّها متناهى
نادى عليه الحسن حين لقيته هــذا المنمنم فى طراز الله

فلما فرغت من شعرها ، قال على بن بكار لجارية قريبة منه : أنشدى أنت أيتها الجارية .

فأخذت العود وأنشدت هذه الأبيات :

زمن الوصال يضيق عن هذا التمادى والدلال

كم من صدود متلف ما هكذا أهل الجمال

فاستغنموا وقت السعو د بطيب ساعات الوصال

فلما فرغت من شعرها تنهد على بن بكار ، وأرسل دموعه الغزار . فلما رأته شمس النهار قد بكى ، وأنّ واشتكى ، أحرقها الوجد والغرام ، وأتلفها الوله والهيام ، فقامت من فوق السرير ، وجاءت إلى باب القبة ؛ فقام على بن بكار وتلقاها وتعانقا ، ووقعا مغشياً عليهما فى باب القبة ؛ فقامت الجوارى إليهما ، وحملنهما وأدخلنهما القبة ، ورششن عليهما ماء الورد ، فلما أفاقا لم يجدا أبا الحسن ، وكان قد اختفى فى جانب سرير ، فقالت الصبية : أين أبو الحسن ؟

فظهر لها من جانب السرير ، فسلمت عليه ، وقالت : أسأل الله أن يقدرنى على مكافأتك يا صاحب المعروف .

ثم أقبلت على على بن بكار ، وقالت له : يا سيدى ما بلغ بك الهوى إلى غاية إلا وعندى أمثالها ، وليس لنا إلا الصبر على ما أصابنا .

فقال على بن بكار : والله يا سيدتى ليس جمع شملى بك يطيب ، ولا ينطفىء ما عندى إليك من اللهيب . ولا يذهب ما تمكن من حبك فى قلبى ، إلا بذهاب روحى .

ثم بكى فنزلت دموعه على خده كأنها المطر ، فلما رأته شمس النهار يبكى بكت لبكائه ، فقال أبو الحسن : والله إنى عجبت من أمركما ، واحترت فى شأنكما ؛ فإن حالكما عجيب ، وأمركما غريب . ما هذا البكاء وأنتما مجتمعان ؟ فكيف يكون الحال بعد انفصالكما ؟

ثم قال : هذا ليس وقت حزن و بكاء ، بل هذا وقت سرور وانشراح .

فأشارت شمس النهار إلى جارية ، فقامت وعادت ، ومعها وصائف حاملات مائدة ، صحافها من الفضة ، وفيها أنواع الطعام . ثم وضعت المائدة قدامهم ، وصارت شمس النهار تأكل وتلقم على بن بكار حتى اكتفوا . ثم رفعت المائدة ، وغسلوا أيديهم ، وجاءتهم المباخر بأنواع العود ، وجاءت القماقم بماء الورد ، فتبخروا وتطيبوا . وقُدمتْ لهم أطباق من الذهب المنقوش ، فيها من أنواع الشراب والفواكه والنقل ماتشتهى الأنفس ، وتلذ الأعين . ثم جاءت لهم بطست من العقيق ، مملوء بالمدام ، فاختارت شمس النهار عشر وصائف أوقفتهن عندها ، وعشر جوار من المغنيات ، وصرفت باقى الجوارى إلى أماكنهن . وأمرت بعض الحاضرات من الجوارى أن يضربن بالعود ، ففعلن ما أمرت به ، وأنشدت واحدة منهن :

بنفسى من رد التحية ضاحكاً　　　فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى

لقد أبرزت أيدى الغرام سرائرى ... وأظهرَ للعــذال ما بين أضلعى

وحالت دموع العين بينى و بينه ... كأن دموع العين تعشقه معى

فلما فرغت من شعرها ، قامت شمس النهار وملأت الـكأس وشربته ، ثم ملأته ودفعته لعلى بن بكار .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الـكلام المباح .

١٥٤

(فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن شمس النهار ملأت الـكأس ودفعته لعلى بن بكار ، ثم أمرت جارية أن تغنى ، فأنشدت هذين البيتين :

تشابه دمعى إذ جـرى ومدامتى ... فمن مثل ما فى الكاس عينىَ تَسكبُ

فوالله لا أدرى أبالخمر أسبلت ... جفونىَ أم من أدمعى كنت أشربُ

فلما فرغت من شعرها ، شرب على بن بكار كأسه ، ورده إلى شمس النهار ، فملأته وناولته لأبى الحسن ، فشربه . ثم أخذت العود وقالت : لا يغنى على قدحى غيرى .

ثم شدت الأوتار ، وأنشدت هذه الأشعار :

غرائب الدمع فى خديه تضطرد ... وجدًا ونار الهوى فى صدره تَقِدُ

يبكى مع القرب خوفا من تباعدهم　　　فالدمع إن قربوا جارٍ و إن بعدوا

وقول الشاعر :

نفداك ساقيا قد كساك الحسـ　　　ـن من فَرْقِك المضىء لِساقِكْ

تشرق الشمس من يديك ، ومن فيـ　　　ـك الثريا ، والبدر من أطواقِكْ

إن أقداحك التى تركتنى　　　غير صاح تُدار من أحداقِكْ

أوليس العجيب كونك بَدْراً　　　كاملا والمحاق فى عشاقِكْ

أإلهٌ تميت أنت وتحـ　　　ـي بتلاقيك مَنْ تَشَا وفراقِكْ

خلق الله من خليقتك الحسـ　　　ـن وطيب النسيم من أخلاقِكْ

لستَ من هذه البرية بل أنـ　　　ـت مليك أُرسلتَ من خلاّقك

فلما سمع على بن بكار وأبو الحسن والحاضرات شعر شمس النهار ، كادوا يطيرون من الطرب ، ولعبوا وضحكوا . وبينما هم على هذه الحال إذ بجارية أقبلت ، وهى ترتعد من الخوف ، وقالت : ياسيدتى ، قد وصل أمير المؤمنين ، وهاهو ذا بالباب ، ومعه عفيف ومسرور وغيرهما .

فلما سمعوا كلام الجارية ، كادوا يهلكون من الخوف ، فضحكت شمس النهار ، وقالت : لاتخافوا .

ثم قالت للجارية : ردى عليهم الجواب بقدر ما نتحول من هذا المكان .

ثم إنها أمرت بإغلاق باب القبة وإرخاء الستور على أبوابها ، وهم فيها ، وأغلقت باب القاعة ، ثم خرجت إلى البستان ، وجلست على سريرها ، وأمرت جارية أن تكبس رجليها ، وأمرت بقية الجوارى أن يمضين إلى أماكنهن ، وأمرت الجارية أن تدع الباب مفتوحا ليدخل الخليفة فدخل مسرور ومن معه ، وكانوا عشرين ، وبأيديهم السيوف ، فسلموا على شمس النهار ، فقالت لهم : لأى شىء جئتم ؟



فقالوا : إن أمير المؤمنين يسلم عليك ، وقد اشتاق لرؤيتك ، ويخبرك أنه كان عنده اليوم سرور زائد ، وأحب أن يكون ختام السرور بوجودك فى هذه الساعة ، فهل تأتين عنده أو يأتى عندك ؟

فقلمت وقبلت الأرض وقالت : سمعا وطاعة لأمر أمير المؤمنين .

ثم أمرت بإحضار القهرمانات والجوارى ، فحضرن ، وأظهرت لهن أنها مقبلة على ما أمر به الخليفة ، وكان المكان كاملا فى جميع أموره . ثم قالت للخدام : امضوا إلى أمير المؤمنين ، وأخبروه أننى فى انتظاره بعد قليل ، إلى أن أهيىء له مكانا بالفرش والأمتعة .

فمضى الخدام مسرعين إلى أمير المؤمنين ، ثم إن شمس النهار دخلت إلى معشوقها على بن بكار ، وضمته إلى صدرها وودعته ، فبكى بكاء شديدا ، وقال : ياسيدتى هذا الوداع ، فمتعينى به لعله يكون عونا على تلف نفسى وهلاك روحى فى هواك ؛ ولكن أسأل الله أن يرزقنى الصبر على ما بلانى به من المحبة .

فقالت له شمس النهار : والله ما يصير فى التلف إلا أنا ، فإنك قد تخرج إلى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكون مصونا ، وغرامك مكنونا . وأما أنا فسوف أقع فى البلاء ، وبالأخص قد وعدت الخليفة بميعاد ، فربما يلحقنى من ذلك عظيم الخطر بسبب شوقى إليك ، وحبى لك ، وتعشقى فيك ، وتأسفى على مفارقتك ، فبأى لسان أغنى ؟ وبأى قلب أحضر عند الخليفة ؟ وبأى كلام أنادم أمير المؤمنين ؟ وبأى نظر أنظر إلى مكان ما أنت فيه ؟ وكيف أكون فى حضرة لم تكن بها ؟ وبأى ذوق أشرب مداما ما أنت حاضره ؟

فقال لها أبو الحسن : لا تتحيرى واصبرى ، ولا تغفلى عن منادمة أمير المؤمنين هذه الليلة ، ولا تريه تهاونا .

فبينما هما فى الكلام ، إذ بجارية قدمت وقالت : ياسيدتى جاء غلمان أمير المؤمنين .

فنهضت قائمة ، وقالت للجارية : خذى أبا الحسن ورفيقه ، واقصدى بهما أعلى الروشن المطل على البستان ، ودعيهما هناك إلى الظلام ، ثم احتالى فى خروجهما .

فأخذتهما الجارية وأطلعتهما فى الروشن ، وأغلقت الباب عليهما ، ومضت إلى حال سبيلها . وصارا ينظران إلى البستان ، وإذا بالخليفة قدم ، وقدامه نحو مائة خادم بأيديهم السيوف ، وحواليه عشرون جارية كأنهن الأقمار ، وعليهن أفخر ما يكون من الملبوس ، وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت ، وفى يد كل واحدة شمعة موقدة ؛ والخليفة يمشى بينهن ، وهن محيطات به من كل ناحية ، ومسرور وعفيف ووصيف قدامه ، وهو يتمايل بينهم . فقامت له شمس النهار وجميع من عندها من الجوارى ، ولاقينه من باب البستان ، وقبلن الأرض بين يديه ، ولم يزلن سائرات أمامه إلى أن جلس على السرير ، واللاتى فى البستان من الجوارى والخدم وقفوا حوله ، والشموع موقدة، والآلات تضرب ، إلى أن أمرهم بالانصراف والجلوس على الأسرة ؛ فجلست شمس النهار على سرير بجانب سرير الخليفة ،

وصارت تحدثه . كل ذلك وأبو الحسن وعلى بن بكار ينظران و يسمعان ، والخليفة لا يراها ، ثم إن الخليفة صار يلاعب شمس النهار ، وأمر بفتح القبة ففتحت ، وأشرعوا طيقانها . وأوقدوا الشموع ، حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار . ثم إن الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب . فقال أبو الحسن : إن هذه الآلات والمشروب والتحف ما رأيت مثلها ، وهذا شيء من أصناف الجواهر ما سمعت بمثله ، ويُخيَّل إلىّ أننى فى المنام ، وقد دهش عقلى وخفق قلبى .

أما على بن بكار فإنه لما فارقته شمس النهار ، لم يزل مطروحا على الأرض من شدة العشق . فلما أفاق صار ينظر إلى هذه الفعال التى لايوجد مثلها ، فقال لأبى الحسن : يا أخى أخشى أن ينظرنا الخليفة



أو يعلم حالنا ، وأ كثر خوفى عليك . وأما أنا فإنى أعلم أنى من الهالكين ، وما سبب موتى إلا العشق والغرام ، وفرط الوجد والهيام ، ونرجو من الله الخلاص مما به بلينا .

ولم يزل على بن بكار وأبو الحسن ينظران من الروشن إلى الخليفة وما هو فيه ، حتى تكاملت الحضرة بين يدى الخليفة ، ثم إن الخليفة التفت إلى جارية من الجوارى ، وقال : هاتى ما عندك يا غرام من السماع المطرب .

فاطربت بالنغمات ، وأنشدت هذه الأبيات :

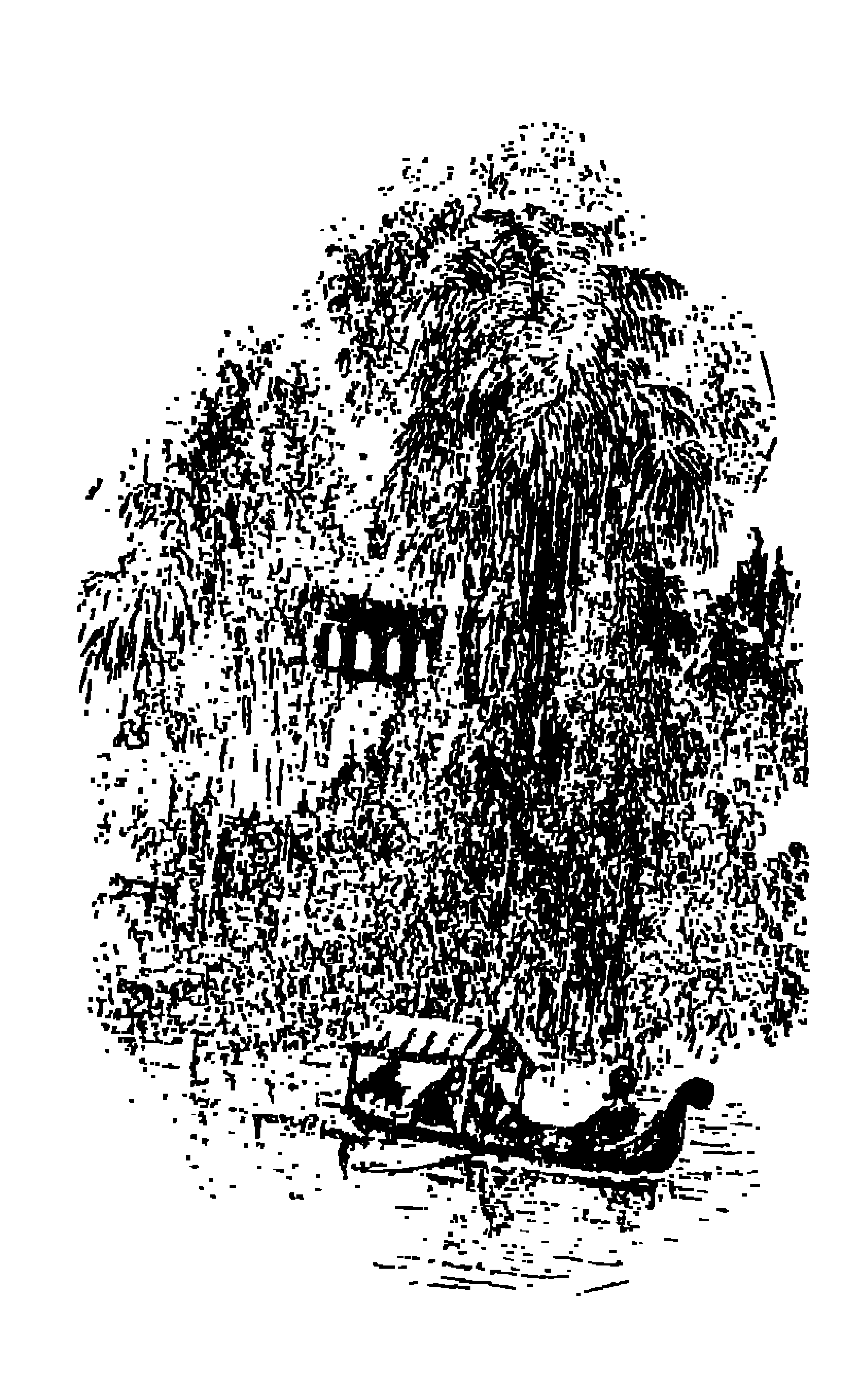
وما وجد أعرابية بانَ أهلُها   فحنّت إلى بانِ الحجاز ورنْده
إذا آنست ركبا تكفّل شوقُها   بنار قِراه والدموعُ بورْده
بأعظم من وجدى بحِبى وإنما   يرى أننى أذنبت ذنبا بودّه

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر ، وقعت مغشيا عليها من فوق الكرسى الذى كانت عليه ، وغابت عن الوجود ، فقامت الجوارى واحتملنها ، فلما نظر إليها على بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه ، فقال أبو الحسن : إن القضاء قسم الغرام بينكما بالسويّة .

فبينما هما يتحدثان ، إذ بالجارية التى أطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت : يا أبا الحسن انهض أنت ورفيقك ، وانزلا ، فقد ضاقت علينا الدنيا ، وأنا خائفة أن يظهر أمرنا ؛ فقوما فى هذه الساعة وإلا متنا .

فقال أبو الحسن : فكيف ينهض معى هذا الغلام ، ولا قدرة له على النهوض ؟

فصارت الجارية ترش ماء الورد على وجهه حتى أفاق ، فحمله أبو الحسن هو والجارية ، ونزلا به من الروشن ، ومشيا قليلا ؛ ثم فتحت الجارية بابا صغيرا من حديد ، وأخرجت أبا الحسن هو وعلى



ابن بكار ، ثم صفقت بيديها ، فجاء زورق فيه إنسان يجدف ، فأطلعتهما في ذلك الزورق وقالت للملاّح : أطلعهما إلى البر .

فلما نزلا في الزورق وفارقا البستان ، نظر على بن بكار إلى القبة والبستان ، وودعهما بهذين البيتين :

مددت إلى التوديع كفًّا ضعيفة وأخرى على الرمضاء تحت فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد بيننا ولا كان هذا الزاد آخر زادى

ثم إن الجارية قالت للملاح : أسرع بهما .

فصار يجدف لأجل السرعة والجارية معهم .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٥٥

(فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الملاح صار يجدف لأجل السرعة والجارية معهم ، إلى أن قطعوا ذلك الجانب ، وعدّوا إلى البر الثانى . ثم انصرفت الجارية بعد أن ودعتهما ، وقالت لهما : كان قصدى أن لا أفارقكما ، لكننى لا أقدر أن أسير إلى مكان غير هذا الموضع .

وبعد أن عادت الجارية ، صار على بن بكار مطروحا بين يدى

أبى الحسن لا يستطيع النهوض ، فقال له أبو الحسن : إن هذا المكان غير أمين ، ونخشى على أنفسنا من التلف فى هذا المكان ، بسبب اللصوص وأولاد الحرام .

فقام على بن بكار يتمشى قليلا وهو لا يستطيع المشى . وكان أبو الحسن له فى ذلك الجانب أصدقاء ، فقصد من يثق به ويركن إليه منهم ، فدقّ بابه ، فخرج إليه مسرعا . فلما رآهما رحب بهما ، ودخل بهما إلى منزله وأجلسهما ، وتحدث معهما ، وسألهما : أين كانا ؟

فقال له أبو الحسن : قد خرجنا فى هذا الوقت ، وأحوجنا إلى هذا الأمر إنسان عاملته فى دراهم ، وبلغنى أنه يريد السفر بمالى ، فخرجت فى هذه الليلة وقصدته ، واستأنست برفيقى هذا على بن بكار ، وجئنا لعلّنا ننظره ، فتوارى منا ، ولم نره ، وعدنا بلا شىء . وشقّ علينا العوْد فى هذا الليل ، ولم نر لنا محلاً غير محلك ، فجئنا إليك على عوائدك الجميلة .

فرحب بهما ، واجتهد فى إكرامهما ، وأقاما عنده بقية ليلتهما . فلما أصبح الصباح خرجا من عنده ، ولم يزالا يمشيان حتى وصلا إلى المدينة ، ودخلاها ، وجازا على بيت أبى الحسن ، فحلف على صاحبه على بن بكار ، وأدخله بيته ، فاضطجعا على الفراش قليلا ؛ ثم أفاقا ، فأمر أبو الحسن غلمانه أن يفرشوا البيت فرشا فاخرا ، ففعلوا . ثم إن

أبا الحسن قال فى نفسه : لابد أن أؤانس هذا الغلام وأسليه عما هو فيه ، فإنى أدرى بأمره .

ثم إن على بن بكار لما أفاق استدعى بماء ، فحضروا له بالماء ، فقام وتوضأ وصلى ما فاته من الفروض فى يومه وليلته ، وصار يسلى نفسه بالكلام . فلما رأى منه ذلك أبو الحسن تقدم إليه وقال : يا سيدى علىّ ، الأليق بما أنت فيه أن تقيم عندى هذه الليلة ، لينشرح صدرك ، وينفرج ما بك من كرب الشوق .

فقال على بن بكار : افعل يا أخى ما بدا لك ، فإنى على كل حال غير ناج مما أصابنى ، فاصنع ما أنت صانع .

فقام أبو الحسن ، واستدعى غلمانه ، وأحضر أصحابه ، وأرسل إلى أرباب المغانى والآلات فحضروا ، وأقاموا على أكل وشرب وانشراح باقى اليوم إلى المساء . ثم أوقدوا الشموع ودارت كئوس المنادمة ، وطاب لهم الوقت ، فأخذت المغنية العود ، وجعلت تقول :

رُميتُ من الزمان بسهم لحظ فأضنانى وفارقت الحبائبْ
وعاندنى الزمان وقلّ صبرى وإنى قبل هذا كنت حاسبْ

فلما سمع على بن بكار كلام المغنية ، خرّ مغشياً عليه ، ولم يزل فى غشيته إلى أن طلع الفجر ، ويئس منه أبو الحسن . ولما طلع النهار أفاق وطلب الذهاب إلى بيته ، فلم يمنعه أبو الحسن خوفا من عاقبة أمره ،

فأتاه غلمانه ببغلة وأركبوه ، وسار معه أبو الحسن إلى أن أدخله منزله . فلما اطمأن فى بيته حمد الله أبو الحسن على خلاصه من هذه الورطة ، وصار يسليه وهو لايتمالك نفسه من شدة الغرام . ثم إن أبا الحسن ودعه .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٥٦

(فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن أبا الحسن ودعه ، فقال له على بن بكار : يا أخى لا تقطع عنى الأخبار .

فقال : سمعا وطاعة .

ثم إن أبا الحسن قام من عنده ، وأتى دكانه ، وفتحه ، وصار يرتقب خبرا من الصبية ، فلم يأته أحد بخبر ، فبات تلك الليلة فى داره . فلما أصبح الصباح ، قام إلى أن أتى دار على بن بكار ، ودخل عليه ، فوجده ملقى على فراشه ، وأصحابه حوله ، والحكماء عنده ، وكل واحد يصف له شيئا ، ويجسون يده . فلما دخل أبو الحسن ورآه تبسم . ثم إن أبا الحسن سلم عليه وسأله عن حاله ، وجلس عنده ، حتى خرج الناس ، فقال له : ما هذه الحال ؟



فقال على بن بكار : قد شاع خبرى أنى مريض ، وتسامع بذلك أصحابى ، وليس فىّ قوة أستعين بها على القيام والمشى ، حتى أكذب من جعلنى ضعيفا . ولم أزل ملقى مكانى كما ترانى ، وقد أتى أصحابى إلى زيارتى . لكن يا أخى هل رأيت الجارية ، أو سمعت بخبر من عندها ؟

فقال : ما جاءتنى من يوم فارقتنا على شاطىء الدجلة .

ثم قال له أبو الحسن : يا أخى احذر الفضيحة ، وتجنب هذا البكاء .

فقال على بن بكار : يا أخى لا أملك نفسى .

ثم صعد الزفرات ، وأنشد هذه الأبيات :

نالت على يدها ما لم تنله يدى نقشا على معصم أوهت به جَلَدِى

خافت على يدها من نبل مقلتها فألبست يدها درعا من الزَّرَد

جس الطبيب يدى جهلا فقلت له إن التألم فى قلبى فخلِّ يدى

قالت لطيف خيال زارنى ومضى بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال : خلفته لو مات من ظمأ وقلت قف عن ورود الماء لم يَرِدِ

فاستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضّت على العنّاب بالبَرَد

فلما فرغ من شعره قال : قد بليت بمصيبة كنت فى أمن منها ، وليس لى أعظم راحة من الموت .

فقال له أبو الحسن : اصبر لعل الله يشفيك .

ثم نزل أبو الحسن من عنده ، وتوجه إلى دكانه وفتحه ؛ فما جلس غير قليل حتى أقبلت عليه الجارية ، وسلمت ، فرد عليها السلام ، ونظر إليها فوجدها خافقة القلب ، يظهر عليها أثر الكآبة ، فقال لها : أهلا وسهلا ، كيف حال شمس النهار ؟

فقالت : سوف أخبرك بحالها ، كيف حال على بن بكار ؟

فأخبرها أبو الحسن بجميع ما كان من أمره ، فتأسفت وتأوهت ، وتعجبت من ذلك الأمر ، ثم قالت : إن حال سيدتى أعجب من ذلك ، فإنكم لما توجهتم رجعت وقلبى يخفق عليكم ، وما صدقت بنجاتكم . فلما رجعت وجدت سيدتى مطروحة فى القبة لا تتكلم ولا ترد على أحد ، وأمير المؤمنين جالس عند رأسها ، لا يجد من يخبره بخبرها ، ولم يعلم

ما بها ، ولم تزل فى غشيتها إلى نصف الليل ، ثم أفاقت ، فقال لها أمير المؤمنين : ما الذى أصابك يا شمس النهـــار ؟ وما الذى اعتراك فى هذه الليلة ؟

فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت أقدامه ، وقالت له : يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداءك ، إنه خامرنى خلط ، فأضرم النار فى جسدى ، فوقعت مغشيا على من شدة ما بى ، ولا أعلم كيف كان حالى .

فقال لها الخليفة : ما الذى استعملته فى نهارك ؟

قالت : أفطرت على شىء لم آكله قط ؟

ثم أظهرتِ القوة ، واستدعت بشىء من الشراب فشربته ، وسألت أمير المؤمنين أن يعود إلى انشراحه ، فعاد إلى الجلوس فى القبة . فلما جئت إليها سألتنى عن أحوالكما ، فأخبرتها بما فعلت معكما ، وأخبرتها بما أنشده على بن بكار ، فسكتت ، ثم إن أمير المؤمنين جلس ، وأمر الجارية بالغناء ، فأنشدت هذين البيتين :

ولم يصفُ لى شىء من العيش بعدكم ... فياليت شعرى كيف حالكمُ بَعدى
يحق لدمعى أن يكون من الدما ... إذا كنتمُ تبكون دمعا على بُعدى

فلما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الجارية قالت لأبى الحسن : إنى أمسكت يدها ، ورششت ماء الورد على وجهها ، فأفاقت ، فقلت لها : يا سيدتى لا تهتكى نفسك ، وما يحويه قصرك ، بحياة محبوبك تصبّرى .

فقالت : هل فى الأمر أكثر من الموت ، فأنا أطلبه ، لأن فيه راحتى .

فبينما نحن فى هذا القول ، إذ غنت جارية بقول الشاعر :

وقالوا لعل الصبر يعقب راحة فقلت وأين الصبر بعد فراقه

وقد أكّد الميثاق بينى و بينه بقطع حبال الصبر عند عناقه

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيا عليها ، فنظرها الخليفة فأتى مسرعا إليها ، وأمر برفع الشراب ، وأن تعود كل جارية إلى مقصورتها . وأقام عندها باقى ليلته إلى أن أصبح الصباح ، فاستدعى الأطباء وأمرهم بمعالجتها ، ولم يعلم بما هى فيه من العشق والغرام . وأقمت عندها حتى ظننت أنها قد انصلح حالها ، وهذا الذى عاقنى عن المجىء إليكما . وقد خلفت عندها جماعة من خواصها لما أمرتنى بالمسير إليكما ، لأعرف خبر على بن بكار وأعود إليها .

فلما سمع أبو الحسن كلامها تعجب ، وقال لها : والله إنى أخبرتك بجميع ما كان من أمره ، فعودى إلى سيدتك وسلمى عليها ، وحثيها على الصبر ، وقولى لها : «اكتمى السر» ، وأخبريها أنى عرفت أمرها ، وهو أمر صعب يحتاج إلى التدبير .

فشكرته الجارية ، ثم ودعته وانصرفت إلى سيدتها .

هذا ما كان من أمرها ، وأما ما كان من أمر أبى الحسن ، فإنه لم يزل فى دكانه إلى آخر النهار ؛ فلما مضى النهار قام وأقفل دكانه ، وأتى إلى دار على بن بكار فدق الباب ، فخرج له بعض غلمانه وأدخله ، فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه ، وقال له : ياأبا الحسن أوحشتنى لتخلفك عنى فى هذا اليوم ، وروحى متعلقة بك باقى عمرى .

فقال له أبو الحسن : دع هذا الكلام ، فلو أمكن فداؤك كنت أفديك بروحى ، وفى هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار وأخبرتنى أنه ماعاقها عن المجىء إلا جلوس الخليفة عند سيدتها ، وأخبرتنى بمـا كان من أمر سيدتها .

وحكى له جميع ماسمعه من الجارية ، فتأسف على بن بكار غاية التأسف وبكى ، ثم التفت إلى أبى الحسن وقال له : بالله ساعدنى على ما بليت به ، وأخبرنى ماذا تكون الحيلة ، وإنى أسألك من فضلك المبيت عندى فى هـذه الليلة لأستأنس بك .

فامتثل أبو الحسن أمره ، وأجابه إلى المبيت عنده ، وباتا يتحدثان فى تلك الليلة . ثم إن على بن بكار بكى وأرسل العبرات ، وأنشد هذه الأبيات :

خفَرتْ بسيف اللحظ ذمّة مِغفرى　　وفَرَتْ برمح القدّ درع تصبّرى

وجلت لنا من تحت مسكة خالها　　كافور فجرٍ شقّ ليـــل العنبر

فزعتْ فضرّست العقيق بلؤلؤ　　سكنت فرائده غـدير السكّر

وتنهدتْ جزعا فأثّر كفُّها　　فى صــدرها فنظرتُ مالم أنظر

أقلام مرجان كتبْنَ بعنبر　　بصحيفة البـلّور خمسة أسطر

ياحامل السيف الصحيح إذا رنت　　إياك ضربةَ جفنهـا المتكسر

وتوقّ يارب القناة الطعن إن　　حملت عليك من القوام بأسمر

فلما فرغ ، لم يزل أبو الحسن جالسا عند على بن بكار إلى ضحوة النهار ، ثم انصرف من عنده وجاء إلى دكانه وفتحه ، وإذا بالجارية جاءته ووقفت عنده ، فلما نظر إليها أومأت إليه بالسلام ، فرد عليها السلام ، و بلغته سلام سيدتها ، وقالت له : كيف حال على بن بكار ؟

فقال لها : يا جارية لاتسألى عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام ، فإنه لاينام الليل ولا يستريح بالنهار ، وقد أنحله السهر وغلب عليه الضجر ، وصار فى حال لا تسر حبيبا .

فقالت له : إن سيدتى تسلم عليك وعليه ، وقد كتبت له ورقة وهى فى حال أعظم من حاله ، وقد سلمتنى الورقة وقالت « لاتأتينى إلا بجوابها وافعلى ما أمرتك به » وهاهى ذى الورقة معى ، فهل لك أن تسير معى إلى على بن بكار ونأخذ منه الجواب ؟



فقال لها أبو الحسن : سمعا وطاعة .

ثم أقفل الدكان وأخذ معه الجارية ، وذهب بها من مكان غير الذى جاء منه ، ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى دار على بن بكار ، ثم أوقف الجارية على الباب ودخل .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح :

(فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة) ، قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أبا الحسن ذهب بالجارية إلى دار على بن بكار ، وأوقفها على الباب ، ودخل البيت . فلما رآه على بن بكار فرح به ، فقال له أبو الحسن : سبب مجيئى أن فلانا أرسل إليك جاريته برقعة تتضمن سلامه عليك ، وذكر فيها أن سبب تأخره عنك عذر حصل له ، والجارية واقفة بالباب ، فهل تأذن لها فى الدخول ؟

فقال على : أدخلوها .

وأشار له أبو الحسن أنها جارية شمس النهار ، ففهم الإشارة . فلما رآها تحرك وفرح ، وقال لها بالإشارة : كيف حال السيد شفاه الله وعافاه ؟

فقالت : بخير .

ثم أخرجت الورقة ودفعتها له ، فأخذها وقبلها وقرأها وناولها لأبى الحسن ، فوجد مكتوبا فيها هذه الأبيات :

ينبيك هذا الرسول عن خبرى ... فاستغن فى ذكره عن النظر
خلفت صبا بحبكم دنفا ... وطرفه لايزال بالسهر
أكابد الصبر فى البلاء فما ... يدفع خلق مواقع القدر
فقر عينا فلست تبعد عن ... قلبى ولا يوم غبت عن بصرى

وانظر إلى جسمك النحيل وما قد حلّه واسـتدلّ بالأثر

وبعد فقد كتبت لك كتابا بغير بنان ، ونطقت بغير لسان ، وجملة شرح حالى أن لى عينا لا يفارقها السهر ، وقلبا لا تبرح عنه الفكر ، فكأننى قط ماعرفت صحة ولا فرحة ، ولا رأيت منظرا بهيّا ، ولا قطعت عيشا هنيّا ، وكأننى خلقت من الصبابة ، ومن ألم الوجد والكآبة ، فعلىّ السقام مترادف ، والغرام متضاعف ، والشوق متكاثر .

واعلم أن الشكوى لا تطفىء نار البلوى ، لكنها تعلل من أعله الاشتياق ، وأتلفه الفراق ؛ وإنى أتسلى بذكر لفظ الوصال ، وما أحسن قول من قال :

إذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والكتب

فقال لها على بن بكار : أبلغى سيدتك سلامى ، وعرفيها بوجدى وغرامى ، وامتزاج المحبة بلحمى وعظامى ، وأخبريها أننى محتاج إلى من ينقذنى من بحر الهلاك ، وينجينى من هذا الارتباك .

ثم بكت الجارية لبكائه ، وودعته وخرجت من عنده ، وخرج أبو الحسن معها ، ثم ودعها ومضى إلى دكانه .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن أبا الحسن ودع الجارية ورجع إلى دكانه ، فلما جلس فى دكانه وجد قلبه انقبض ، وضاق صدره ، وتحير فى أمره ، ولم يزل فى فكر بقية يومه وليلته . وفى اليوم الثانى ذهب إلى على بن بكار ، وجلس عنده حتى ذهب الناس ، وسأله عن حاله ، فأخذ فى شكوى الغرام ، وما به من الوجد والهيام ، وأنشد قول الشاعر :

شكا ألمَ الغرام الناسُ قبلى ... ورُوِّع بالنَّوى حىّ وميْتُ
وأما مثل ما ضمّت ضلوعى ... فإنى ما سمعت ولا رأيت

وقول الشاعر :

ولقيت من حُبّيكِ مالم يلقه ... فى حب ليلى قيسُها المجنونُ
لكننى لم أتّبعْ وحش الفلا ... كفعال قيس ، والجنون فنون

فقال أبو الحسن : أنا ما رأيت ولا سمعت بمثلك فى محبتك . كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة ، وقد تعلقت بحبيب موافق ؟ فكيف إذا تعلقت بحبيب مخالف مخادع ؟

فركن على بن بكار إلى كلام أبى الحسن ، وشكره على ذلك .

وكان له صاحب يطلع على أمره وأمر على بن بكار ، ويعلم أنهما متوافقان ، ولم يعلم أحد ما بينهما غيره ؛ وكان يأتيه فيسأله عن حال على بن بكار ، وبعد قليل يسأله عن الجارية ، فقال له : قد دعته إليها ، وكان بينه وبينها ما لا مزيد عليه ، وهذا آخر ما انتهى من أمرهما ؛ ولكنى دبرت لنفسى أمراً أريد عرضه عليك .

فقال له صاحبه : ما هو ؟

قال أبو الحسن : اعلم أنى رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء ، وأخشى أن ينكشف أمرهما فيكون سببا لهلاكى ، وأخذ مالى وهتك عيالى . وقد اقتضى رأيى أن أجمع مالى ، وأجهز حالى ، وأتوجه إلى مدينة البصرة ، وأقيم بها حتى أنظر ما يكون من أحوالها ، بحيث لا يشعر بى أحد ؛ فإن المحبة قد تمكنت منهما ، ودارت المراسلة بينهما ، وتمشى بينهما جارية هى كاتمة لأسرارهما ، وأخشى أن يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لأحد ، فيشيع خبرهما ، ويؤدى ذلك إلى هلاكى ، ويكون سببا لتلفى ، وليس لى عذر عند الناس .

فقال له صاحبه : قد أخبرتنى بخبر خطير ، يخاف من مثله العاقل الخبير ؛ كفاك الله شر ما تخافه وتخشاه ، ونجاك مما تخاف عقباه ، وهذا الرأى هو الصواب .

فانصرف أبو الحسن إلى منزله ، وصار يقضى مصالحه ، ويتجهز

للسفر إلى مدينة البصرة . فما مضى ثلاثة أيام حتى قضى مصالحه وسافر إلى البصرة ، فجاء صاحبه بعد ثلاثة أيام ليزوره فلم يجده ، فسأل عنه جيرانه ، فقالوا له : إنه توجه إلى البصرة لأن له معاملة عند تجارها ، فذهب ليطالب أرباب الديون ، وعن قريب يأتى .

فاحتار الرجل فى أمره ، وصار لا يدرى أين يذهب ، وقال : « يا ليتنى لم أفارق أبا الحسن » . ثم دبر حيلة يتوصل بها إلى على بن بكار ، فقصد داره ، وقال لبعض غلمانه : استأذن لى سيدك لأدخل فأسلم عليه .

فدخل الغلام وأخبر سيده به ، ثم عاد إليه وأذن له فى الدخول . فدخل عليه ، فوجده ملقى على الوسادة ، فسلم عليه فرد عليه السلام ، ورحب به . ثم إن الرجل اعتذر إليه فى تخلفه عنه تلك المدة ، ثم قال له : يا سيدى إن بينى و بين أبى الحسن صداقة ، و إنى كنت أودعه أسرارى ، ولا أنقطع عنه ساعة . فغبت فى بعض المصالح مع جماعة من أصحابى مدة ثلاثة أيام ، ثم جئت إليه ، فوجدت دكانه مغلقا ، فسألت عنه الجيران فقالوا : « إنه توجه إلى البصرة » . ولم أعلم له صديقا أوفى منك ، فبالله أخبرنى بخبره .

ولما سمع على بن بكار كلامه ، تغير لونه واضطرب ، وقال : لم أسمع قبل هذا اليوم خبر سفره ، و إن كان الأمر كما ذكرت فقد حصل لى التعب .

ثم أفاض دمع العين ، وأنشد هذين البيتين :

قد كنت أبكي على مافات من فرح وأهل ودى جميعا غير أشتاتِ
واليوم فرّق ما بينى و بينهمُ دهرى فأبكي على أهل الموداتِ

ثم إن على بن بكار أطرق إلى الأرض يتفكر ، و بعد ساعة رفع رأسه إلى خادم له ، وقال له : امض إلى دار أبى الحسن واسأل عنه ، هل هو مقيم أو مسافر ، فإن قالوا سافر ، فاسأل إلى أى ناحية توجه .

فمضى الغلام وغاب ساعة ، ثم أقبل إلى سيده وقال : إنى لما سألت عن أبى الحسن أخبرنى أتباعه أنه سافر إلى البصرة ، ولكن وجدت جارية واقفة على الباب ، فلما رأتنى عرفتنى ولم أعرفها ، وقالت لى : « هل أنت غلام على بن بكار ؟ » فقلت لها : « نعم » . فقالت : « إن معى رسالة إليه من عند أعزّ الناس عليه » . فجاءت معى ، وهى واقفة على الباب .

فقال على بن بكار : أدخلها .

فطلع الغلام إليها ، وأدخلها ، فنظر الرجل الذى عند ابن بكار إلى الجارية فوجدها ظريفة . ثم إن الجارية تقدمت إلى علىّ بن بكار وسلمت عليه .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الجارية لما دخلت على علىّ بن بكار تقدمت إليه ، وسلمت عليه ، وتحدثت معه سراً ، وصار يقسم فى أثناء الكلام ، ويحلف أنه لم يتكلم بذلك ، ثم ودعته وانصرفت . وكان الرجل صاحب أبى الحسن جوهريا ، فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلا ، فقال لعلى بن بكار : لا شك ولا ريب أن لدار الخلافة عليك مطالبة ، أو بينك و بينها معاملة .

فقال : ومن أعلمك بذلك ؟

فقال : معرفتى بهذه الجارية ، لأنها جارية عند شمس النهار ، وكانت جاءتنى من مدة برقعة ، مكتوب فيها أنها تشتهى عقد جوهر ، فأرسلت إليها عقداً ثميناً .

فلما سمع على بن بكار كلامه اضطرب حتى خشى عليه التلف ، ثم راجع نفسه وقال : يا أخى ، سألتك بالله من أين تعرفها ؟

فقال له الجوهرى : دع الإلحاح فى السؤال .

فقال له على بن بكار : لا أرجع عنك إلا إذا أخبرتنى بالصحيح .

فقال له الجوهرى : أنا أخبرك بحيث لا يدخلك منى وهم ، ولا يعتريك من كلامى انقباض ، ولا أخفى عنك سراً ، وأبين لك حقيقة الأمر ؛ ولكن على شرط أن تخبرنى بحقيقة حالك ، وسبب مرضك .

فأخبره بخبره ، ثم قال : والله يا أخى ما حملنى على كتمان مرى ، إلا مخافة أن يكشف الناس أستار بعضهم بعضا .

فقال الجوهرى لعلى بن بكار : وأنا ما أردت اجتماعى بك إلا لشدة محبتى لك ، وغيرتى عليك ، وشفقتى على قلبك من ألم الفراق ، عسى أن أكون لك مؤنسا نيابة عن صديقى أبى الحسن مدة غيبته ، فطب نفسا وقر عينا .

فشكره علىّ بن بكار على ذلك ، وأنشد هذين البيتين :

ولو قلت إنى صابر بعد بعده لكذبنى دمعى وفرط نحيبى
وكيف أدارى مَدْمَعًا جَرَيَانُه على صحن خدى من فراق حبيبى

ثم إن على بن بكار سكت ساعة من الزمان ، وبعد ذلك قال للجوهرى : أتدرى ما أسرّت إلىّ به الجارية ؟

فقال : لا والله ياسيدى .

فقال : إنها زعمت أنى أشرت على أبى الحسن بالمسير إلى مدينة

البصرة ، وأننى دبرت بذلك حيلة لأجل عدم المراسلة والمواصلة ، فحلفت لها أن ذلك لم يكن ، فلم تصدقنى ، ومضت إلى سيدتها ، وهى على ما هى عليه من سوء الظن ، لأنها كانت تصغى إلى أبى الحسن .

فقال الجوهرى : يا أخى إنى فهمت من حال هذه الجارية هذا الأمر ، ولكن إن شاء الله تعالى أكون عونا لك على مرادك .

فقال له على بن بكار : وكيف تعمل معها وهى تنفر كوحش الفلاة .

فقال له : لا بد أن أبذل جهدى فى مساعدتك ، واحتيالى فى التوصل إليها ، من غير كشف ستر ولا مضرة .

ثم استأذن فى الانصراف ، فقال له على بن بكار : يا أخى ، عليك بكتمان السر .

ثم نظر إليه وبكى ، فودعه وانصرف .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الجوهرى ودعه وانصرف ، وهو لا يدرى كيف يعمل



فى إسعاف على بن بكار ، ومازال ماشيا وهو متفكر فى أمره ، فرأى ورقة مطروحة فى الطريق ، فأخَذها ونظر عنوانها ، وقرأه فإذا هو « من المحب الأصغر ، إلى الحبيب الأكبر » . ففتح الورقة فرأى مكتوبا فيها هذان البيتان :

جاء الرسول بوصل منك يطمعني وكان أكثر ظني أنه وَهِماَ
فما فرحت ولكن زادني حزنا علمي بأن رسولي لم يكن فَهِماَ

وبعد ، فاعلم ياسيدي أنني لم أدر ما سبب قطع المراسلة بيني وبينك فإن يكن صدر منك الجفاء فأنا أقابله بالوفاء ، وإن يكن ذهب منك الوداد فأنا أحفظ الود على البعاد ، فأنا معك كما قال الشاعر :

تِهْ أَحْتَمِلْ وَاسْتَطِلْ أَصْبِرْ وعِزَّ أَهُنْ
ووَلِّ أُقْبِلْ وقُلْ أَسْمَعْ ومُرْ أُطِعِ

فلما قرأها إذا الجارية أقبلت تتلفت يمينا وشمالا ، فرأت الورقة في يده ، فقالت له : يا سيدي إن هذه الورقة وقعت مني .

فلم يردّ عليها جوابا ومشى ، ومشت الجارية خلفه ، إلى أن أقبل على داره ودخل ، والجارية خلفه ، فقالت له : يا سيدي رد لي هذه الورقة فإنها سقطت مني .

فالتفت إليها وقال : ياجارية لاتخافي ولا تحزني ، ولكن أخبريني بالخبر على وجه الصدق ، فإني كتوم للأسرار ، وأحلّفك يمينا أنك لا تخفي شيئا من أمر سيدتك ، فعسى الله أن يعينني على قضاء أغراضها ، ويسهل الأمور الصعاب على يدي .

فلما سمعت الجارية كلامه قالت : يا سيدي ، ما ضاع سر أنت

حافظه ، ولا خاب أمر أنت تسعى فى قضائه . اعلم أن قلبى مال إليك ، فأنا أخبرك بحقيقة الأمر لتعطينى الورقة .

ثم أخبرته بالخبر كله ، وقالت : الله على ما أقول شهيد .

فقال لها : صدقت ، فإن عندى علما بأصل الخبر .

ثم حدثها بحديث على بن بكار ، وكيف عرف سره ، وأخبرها بالخبر من أوله إلى آخره .

فلما سمعت ذلك فرحت ، واتفقا على أن تأخذ الورقة وتدفعها لعلى ابن بكار ، وترجع إليه وتخبره بجميع ما يحدث ؛ فأعطاها الورقة ، فأخذتها وختمتها كما كانت .

ثم إن الجارية ودعتـه وتوجهت إلى على بن بكار ، فوجدته فى الانتظار ، فأعطته الورقة وقرأها ، ثم كتب لها ورقة رد الجواب ، وأعطاها إياها ، فأخذتها ورجعت بها إلى الجوهرى كما اتفقا ؛ ففض ختمها وقرأها ، فرأى مكتوبا فيها :

إن الرسول الذى كانت رسائلنا مكتومة عنده ضاعت ، وقد غضبا

فاستخلصوا لى رسولا منكم ثقة يستحسن الصدق لا يستحسن الكذبا

وبعد فإننى لم يصدر منى جفاء ، ولا تركت وفاء ، ولا نقضت عهدا ، ولا قطعت ودا ، ولا فارقت أسفا ، ولا لقيت بعد الفراق

إلا تلفا ، ولا علمت أصلا بما ذكرتم ، ولا أحب غير ما أحببتم . وحق عالم السر والنجوى ، ما قصدى غير الاجتماع بمن أهوى ، وشأنى كتمان الغرام ، وإن أمرضنى السقام ، وهذا شرح حالى والسلام .

فلما قرأ الجوهرى هذه الورقة وعرف ما فيها ، بكى بكاء شديدا ، ثم إن الجارية قالت له : لا تخرج من هذا المكان حتى أعود إليك ، لأنه قد اتهمنى بأمر من الأمور وهو معذور ، وأنا أريد أن أجمع بينك وبين سيدتى شمس النهار بأى حيلة ؛ فإنى تركتها مطروحة ، وهى تنتظر منى رد الجواب .

ثم إن الجارية مضت إلى سيدتها ، وبات الجوهرى مشوش الخاطر .

فلما أصبح الصباح صلى الصبح وقعد ينتظر قدومها ، وإذا بها أقبلت وهى فرحانة إلى أن دخلت عليه ، فقال لها : ما الخبر يا جارية ؟

فقالت : مضيت من عندك إلى سيدتى ، ودفعت لها الورقة التى كتبها على بن بكار ، فلما قرأتها وفهمت معناها تحير فكرها ، فقلت لها : يا سيدتى لا تخشى من فساد الأمر بينكما بسبب غياب أبى الحسن ، فإنى وجدت من يقوم مقامه ، وهو أحسن منه وأعلى مقدارا ، وهو أهل لكتمان الأسرار . وقد حدثتها بما بينك وبين أبى الحسن ، وكيف توصلت إليه وإلى على بن بكار ، وكيف سقطت تلك الرقعة منى ، ووقعت أنت عليها ، وأخبرتها بما استقر عليه الأمر بينى وبينك .

فتعجب الجوهرى غاية العجب ، ثم قالت له : إنها تشتهى أن تسمع كلامك لأجل أن تؤكد عليك العهود ، فاعزم فى هذا الوقت على المسير معى إليها .

فلما سمع الجوهرى كلام الجارية ، رأى أن الدخول عليها أمر عظيم ، وخطر جسيم ، لا يمكن الدخول فيه ، ولا التهجم عليه . فقال الجوهرى للجارية : يا أختى إنى من أولاد العوام ، ولم أكن كأبى الحسن ، فإنه كان رفيع المقدار ، معروفا بالاشتهار ، مترددا على دار الخلافة ، لاحتياجهم إلى بضاعته . وأما أنا فإن أبا الحسن كان يحدثنى وأنا أرتعد بين يديه ، وإذا كانت سيدتك رغبت فى حديثى لها ، فينبغى أن يكون ذلك فى غير دار الخلافة ، بعيدا عن محل أمير المؤمنين ، لأن جنانى لا يطاوعنى على ما تقولين .

ثم إنه امتنع عن المسير معها ، وصارت تضمن له السلامة وتقول له : لا تخش ولا تخف ؟ إن كان يصعب عليك الرواح إلى دار الخلافة ولا يمكنك المسير معى ، فأنا أجعلها تسير إليك ، فلا تبرح من مكانك حتى أرجع إليك بها .

ثم إن الجارية مضت ولم تغب إلا قليلا ، وعادت إلى الجوهرى ، وقالت له : احذر أن يكون عندك جارية أو غلام .

فقال : ما عندى غير جارية سوداء كبيرة السن ، تخدمنى .



فقامت الجارية ، وأغلقت الأبواب بين جارية الجوهرى وبينه ، وصرفت غلمانه إلى خارج الدار ، ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ، ودخلت دار الجوهرى ، فأعبقت الدار من الطيب . فلما رآها الجوهرى نهض قائما ، ووضع لها مخدة وجلس بين يديها ، فمكثت ساعة لا تتكلم حتى استراحت ، ثم كشفت وجهها ، فخيل للجوهرى أن الشمس أشرقت فى منزله ، ثم قالت لجاريتها : أهذا الرجل الذى تحدثت عنه ؟

فقالت الجارية : نعم .

فالتفتت إلى الجوهرى وقالت له : كيف حالك ؟

قال : بخير . ودعا لها .

فقالت : إنك حملتنا المسير إليك ، وأن نطلعك على ما يكون من سرنا .

ثم سألته عن أهله وعياله ، فأخبرها بجميع أحواله ، وقال لها : إن لى داراً غير هذه الدار ، جعلتها للاجتماع بالأصحاب والإخوان ، ليس لى فيها إلا ما ذكرته لجاريتك .

ثم سألته عن كيفية اطلاعه على أصل القصة ، فأخبرها بما سألته عنه من أول الأمر إلى آخره ، فتأوهت على فراق أبى الحسن ، وقالت : يا فلان ، اعلم أن أرواح الناس متلائمة فى الشهوات ، والناس بالناس ، ولا يتم عمل إلا بقول ، ولا يتم غرض إلا بمعين ، ولا تحصل راحة إلا بعد تعب .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن شمس النهار قالت للجوهرى : لا تحصل راحة إلا بعد تعب ، ولا يظهر نجاح إلا من ذوى مروءة . وقد أطلعتك الآن على أمرنا ، وصار بيدك هتكنا وسترنا ، ولا زيادة لما أنت عليه من المروءة ؛ فأنت قد علمت أن جاريتى هذه كاتمة لسرى ، و بسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندى ، وقد اختصصتها بمهمات أمورى ، فلا يكن عندك أعز منها ، وأطلعها على أمرك ، وطب نفسا فأنت آمن مما تخافه من جهتنا ، وما يسد عليك موضع إلا وتفتحه لك . وهى تأتيك من عندى بأخبارى لعلى بن بكار ، وتكون أنت الواسطة فى التبليغ بينى و بينه .

ثم إن شمس النهار قامت وهى لا تستطيع القيام ، ومشت فتمشى بين يديها الجوهرى حتى وصلت إلى باب الدار ، ثم رجع وقعد فى موضعه بعد أن نظر من حسنها ما بهره ، وسمع من كلامها ما حير عقله ، وشاهد من ظرفها وأدبها ما أدهشه . ثم استمر يتفكر فى شمائلها ، حتى سكنت نفسه ، وطلب الطعام وأكل ما يمسك رمقه ؛ ثم غير ثيابه وخرج من داره ، وتوجه إلى على بن بكار فلاقاه غلمانه ، ومشوا بين

يديه إلى أن وصلوا إلى سيدهم ، فوجدوه ملقى على فراشه ؛ فلما رأى الجوهرى قال له : أبطأت علىّ فزدتنى همًّا على همى .

ثم صرف غلمانه ، وأمر بغلق أبوابه . وقال له : والله ما غمضت عينى من يوم فارقتنى ، فإن الجارية جاءتنى بالأمس ومعها رقعة مختومة من سيدتها شمس النهار .

وحكى له ابن بكار جميع ما وقع له معها ، ثم قال : لقد تحيرت فى أمرى ، وقل صبرى ، وكان لى أبو الحسن أنيسا لأنه يعرف الجارية .

فلما سمع الجوهرى كلام ابن بكار ضحك ، فقال له ابن بكار : كيف تضحك من كلامى ، وقد استبشرت بك واتخذتك عدة للنائبات ؟

ثم بكى وأنشد هذه الأبيات :

وضاحك من بكائى حين أبصرنى ... لو كان قاسى الذى قاسيتُ أبكاهْ
لم يرثِ للمبتلَى مما يكابده ... إلا شَجٍ مثله قد طال بلواه
وجدى حنينى أنينى فكرتى وَلَهِى ... إلى حبيبٍ زوايا القلب مأواه
حلّ الفؤاد مقيما لا يفارقه ... وقتا ولكنه قد عزّ لُقْيَاه
ما لى سواه خليلى أرتضى بدلا ... وما اصطفيت حبيبا قط إلاّ هُو

فلما سمع الجوهرى منه هذا الكلام ، وفهم الشعر والنظام ، بكى لبكائه ، وأخبره بما جرى مع الجارية من حين فارقه ، فصار ابن بكار

يصغى إلى كلامه ، وكلما سمع منه كلمة يتغير لون وجهه من صفرة إلى احمرار ، ويقوى جسمه مرة ويضعف أخرى . فلما انتهى إلى آخر الكلام بكى ابن بكار ، وقال له : يا أخى أنا على كل حال هالك ، فليت أجلى قريب . وأسألك من فضلك أن تكون ملاطفى فى جميع أمورى ، إلى أن يقضى الله ما يريد ، وأنا لا أخالف لك قولا

فقال الجوهرى : لا يطفىء عنك هذه النار إلا الاجتماع بمن شغفت بها ، ولكن فى غير هذا المكان الخطير ؛ وإنما يكون ذلك عندى فى بيت جنب بيتى الذى جاءتنى فيه الجارية هى وسيدتها ، وهو الموضع الذى اختارته لنفسها ، والمقصود اجتماعكما ، وفيه تشكوان ما قاسيتما .

فقال على بن بكار : افعل ما تريد ، والذى تراه هو الصواب .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٦٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الجوهرى قال :

فأقمت تلك الليلة عند على بن بكار ، أسامره إلى أن أصبح الصباح ، ثم صليت الصبح وخرجت من عنده ، وذهبت إلى منزلى ، فما استقررت

إلا قليلا حتى جاءت الجارية ، وسلمت على ، فرددت عليها السلام ، وحدثتها بما كان بيني و بين على بن بكار .

فقالت الجارية : اعلم أن الخليفة توجه من عندنا ، وأن مجلسنا لا أحد فيه ، وهو أستر لنا وأحسن .

فقلت لها : كلامك صحيح ، ولكنه ليس كمنزلى هذا ، فإنه أستر لنا ، وأليق بنا .

فقالت الجارية : إن الرأى ما تراه أنت ، وأنا ذاهبة إلى سيدتى لأخبرها بما ذكرت ، وأعرض عليها ما قلت .

ثم إن الجارية توجهت إلى سيدتها ، وعرضت عليها الكلام ، وعادت إلى منزلى وقالت لى : إن سيدتى رضيت بما قلته .

ثم إن الجارية أخرجت من جيبها كيسا فيه دنانير ، وقالت : إن سيدتى تسلم عليك ، وتقول لك : « خذ هذا واقض لنا به ما نحتاج إليه » .

فأقسمت أنى لا صرف شيئا منه ، فأخذته الجارية وعادت إلى سيدتها .

وبعد رواح الجارية ذهبت إلى دارى الثانية ، وحولت إليها من الآلات والفرش ما يحتاج إليه الحال ، ونقلت إليها أوانى الفضة

والصينى ، وهيأت جميع ما تحتاج إليه من المأكل والمشرب . فلما حضرت الجارية ونظرت ما فعلته أعجبها ، وأمرتنى باحضار على بن بكار ، فقلت : ما يحضر به إلا أنت .

فذهبت إليه وأحضرته على أتم حال ، وقد راقت محاسنه . فلما جاء قابلتهُ ورحبت به ، ثم أجلسته على مرتبة تصلح له ، ووضعت بين يديه شيئا من المشموم فى بعض الأوانى الصينى والبلور ، وصرت أتحدث معه نحو ساعة من الزمان ، ثم إن الجارية مضت وغابت إلى بعد صلاة المغرب ، ثم عادت ومعها شمس النهار ، ووصيفتان لا غير . فلما رأت على بن بكار



ورآهاتمانقا ، ثم سقطا على الأرض مغشيا عليهما ، واستمرا ساعة زمانية . ولما أفاقا أقبلا على بعضهما بعضا ، ثم جلسا يتحدثان بكلام رقيق ، و بعد ذلك استعملا شيئا من الطيب ؛ ثم إنهما صارا يشكران صنعى معهما ، فقلت لهما : هل لكما فى شىء من الطعام ؟

فقالا : نعم .

فأحضرت شيئا من الطعام ، فأكلا حتى اكتفيا ، ثم غسلا أيديهما؛ ثم نقلتهما إلى مجلس آخر ، وأحضرت لهما الشراب فشربا ، ثم إن شمس النهار قالت لى : يا سيدى كمل جميلك ، وأحضر لنا عوداً أو شيئا من آلات الملاهى حتى يكمل حظنا فى هذه الساعة .

فقلت : على رأسى وعينى .

ثم إنى قمت وأحضرت عودا ، فأخذته وأصلحته ، ثم إنها وضعته فى حجرها وضربت عليه ضربا بليغا ، ثم أنشدت هذين البيتين :

أرقت حتى كأنى أعشق الأرَقا ... وذبت حتى تراءى السقم لى خُلقَا

وفاض دمعى على خدى فأحرقه ... يا ليت شعرىَ هل بعد الفراق لِقَا

ثم إنها أخذت فى غناء الأشعار ، حتى حيرت الأفكار ، بأصوات مختلفات ، و إشارات رائقات ، وكاد المجلس يطير من شدة الطرب ، لما أتت فيه من مغانيها بالعجب .

ولما استقر بنا الجلوس ، ودارت بيننا الكئوس ، أطربت الجارية بالنغمات ، وأنشدت هذه الأبيات :

وعد الحبيب بوصله وَوَفَى لِى   فى ليلة سأعدها بليالى
يا ليلة سمح الزمان لنا بها   فى غفلة الواشين والعذّال
بات الحبيب يضمنى بيمينه   فضممته من فرحتى بشمالى

ثم إنى تركتهما فى تلك الدار وانصرفت إلى دار سكناى ، و بت فيها إلى الصباح . ولما أصبح الصبح صليت فرضى ، وجلست أفكر فى المسير إليهما فى دارى الثانية . فبينما أنا جالس إذ دخل علىّ جارى وهو مرعوب ، وقال : يا أخى ، ما هان علىّ الذى جرى لك الليلة فى دارك الثانية .

فقلت له : يا أخى ، وأى شىء جرى ؟

فأخبرنى بما حصل فى دارى ، فقال ، إن اللصوص الذين جاءوا إلى جيراننا بالأمس ، وقتلوا فلانا ، وأخذوا ماله ، قد رأوك بالأمس وأنت تنقل حوائجك إلى دارك الثانية ، فجاءوا إليها ليلا ، وأخذوا ما عندك ، وقتلوا ضيوفك .

فقمت أنا وجارى ، وتوجهنا إلى تلك الدار ، فوجدناها خالية ، ولم يبق فيها شىء ، فتحيرت فى أمرى ، وقلت : أما الأمتعة فلا أبالى

بضياعها ، وإن كنت استعرت بعض أمتعة من أصحابى وضاعت فلا بأس بذلك ، لأنهم عرفوا عذرى بذهاب مالى ، ونهب دارى ، وأما على بن بكار ومحظية أمير المؤمنين فأخشى أن يشتهر الأمر بينهما ، فيكون ذلك سبب رواح روحى .

ثم إن الجوهرى التفت إلى جاره ، وقال له : أنت أخى وجارى ، وتستر عورتى ، فما الذى تشير به على من الأمور ؟

فقال الرجل للجوهرى : الذى أشير به عليك أن تتربص ، فإن الذين دخلوا دارك ، وأخذوا متاعك ، قد قتلوا أحسن جماعة من دار الخليفة ، وقتلوا جماعة من دار صاحب الشرطة ، وأعوان الدولة يدورون عليهم فى جميع الطرق ، فلعلهم يجدونهم ، فيحصل مرادك بغير سعى منك .

فلما سمع الجوهرى هذا الكلام ، رجع إلى داره التى هو ساكن بها .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الجوهرى لما سمع هذا الكلام ، رجع إلى داره وقال فى نفسه : إن الذى حصل لى هو الذى خاف منه أبو الحسن ، وذهب إلى البصرة ، وقد وقعت فيه .

ثم إن نهب داره اشتهر عند الناس ، فأقبلوا عليه من كل جانب ومكان ، فمنهم من هو شامت ، ومنهم من هو حامل همه . فصار يشكو لهم ، ولم يأكل طعاما ، ولم يشرب شرابا . فبينما هو جالس متندم ، إذ بغلام من غلمانه دخل عليه وقال له : إن شخصا بالباب يدعوك لم أعرفه .

فخرج إليه الجوهرى وسلم عليه ، ووجده إنسانا لم يعرفه ، فقال له الرجل : إن لى حديثا بينى و بينك .

فأدخله الدار وقال له : ما عندك من الحديث ؟

فقال الرجل : امض معى إلى دارك الثانية .

فقال الجوهرى : وهل تعرف دارى الثانية ؟

فقال : إن جميع خبرك عندى ، وعندى أيضا ما يفرج الله به همك .

قال الجوهرى : فقلت فى نفسى : أنا أمضى معه حيث أراد .

ثم توجهت إلى أن أتينا الدار ، فلما رآها الرجل قال : إنها بغير بوّاب ، ولا يمكن القعود فيها ، فامض معى إلى غيرها .

فلم يزل الرجل يدور بى من مكان إلى مكان وأنا معه ، حتى دخل علينا الليل ، ولم أسأله عن أمر من الأمور . ثم إنه لم يزل يمشى وأنا أمشى معه حتى خرجنا إلى الفضاء ، وهو يقول : اتبعنى .

وصار يهرول فى مشيه ، وأنا أهرول وراءه ، حتى وصلنا إلى البحر ، فطلع بنا فى زورق ، وجدف بنا الملاح ، حتى عدّانا إلى البر الثانى. فنزل من ذلك الزورق ونزلت خلفه ، ثم أخذ بيدى ونزل بى فى درب لم أدخله طول عمرى ، ولم أعلم فى أى ناحية هو . ثم إن الرجل وقف على باب دار وفتحها ودخل ، وأدخلنى معه ، وأغلق بابها بقفل من حديد . ثم مشى بى فى دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كأنهم رجل واحد ، وهم إخوة . فلما دخلنا عليهم سلم عليهم ذلك الرجل ، فردوا عليه السلام ، ثم أمرونى بالجلوس فجلست ، وكنت ضعفت من شدة التعب ، فجاءونى بماء ورد ورشوه على وجهى ، وسقونى شرابا ، وقدموا إلى طعاما ، فقلت : لو كان فى الطعام شىء مضر ما أكلوا معى .

فلما غسلنا أيدينا ، عاد كل منا إلى مكان ، وقالوا : هل تعرفنا ؟

فقلت : « لا ، ولا عمرى عرفت موضعكم ، بل ولا أعرف من جاء بى إليكم .

فقالوا : أطلعنا على خبرك ولا تكذب فى شىء .

فقلت لهم : اعلموا أن حالى عجيب ، وأمرى غريب ، فهل عندكم شىء من خبرى ؟

قالوا : نعم ، نحن الذين أخذنا أمتعتك فى الليلة الماضية ، وأخذنا صديقك والتى كانت تغنى .

فقلت لهم : أسبل الله عليكم ستره ، أين صديقى هو والتى كانت تغنى ؟

فأشاروا بأيديهم إلى ناحية وقالوا : ههنا ، ولكن يا أخى ، ما ظهر على سرهما أحد منا ، ومن حين أتينا بهما لم نجتمع بهما ، ولم نسألهما عن حالهما ، لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار ، وهذا هو الذى منعنا عن قتلهما ، فأخبرنا عن حقيقة أمرهما ، وأنت فى أمان على نفسك وعليهما .

فلما سمعت هذا الكلام كدت أهلك من الخوف والفزع ، وقلت لهم : اعلموا أن المروءة إذا ضاعت لم توجد إلا عندكم ، و إذا كان عندى سر أخاف إفشاءه فلا يخفيه إلا صدوركم » .

وصرت أبالغ فى هذا المعنى ، ثم إنى وجدت المبادرة لهم بالحديث أنفع من كتمانه ، فحدثتهم بجميع ما وقع لى حتى انتهيت إلى آخر الحديث .

فلما سمعوا حكايتي قالوا : وهل هذا الفتى على بن بكار ، وهذه شمس النهار ؟

فقلت لهم : نعم .

فذهبوا إليهما واعتذروا لهما ثم قالوا لى : إن الذى أخذناه من دارك ذهب بعضه ، وهذا ما بقى منه .

ثم ردوا إلىّ أكثر الأمتعة ، والتزموا أنهم يعيدونها إلى محلها فى دارى ، و يردّون إلىّ الباقى ، ولكنهم انقسموا نصفين ، فصار قسم منهم معى ، وقسم منهم علىّ ، ثم خرجنا من تلك الدار .

هذا ما كان من أمرى .

وأما ما كان من أمر على بن بكار وشمس النهار ، فإنهما قد أشرفا على الهلاك من الخوف ، ثم تقدمت إلى على بن بكار وشمس النهار ، وسلمت عليهما ، وقلت لهما : يا ترى ما جرى للجارية والوصيفتين ، وأين ذهبن ؟

فقالا : لا علم لنا بهن .

ولم نزل سائرين إلى أن انتهينا إلى المكان الذى فيه الزورق ، فأطلعونا فيه ، و إذا هو الزورق الذى عدينا فيه بالأمس ، فجدف بنا الملاح حتى أوصلنا إلى البر الثانى ، فأنزلونا . فما استقر بنا الجلوس على



جانب البر ، حتى جاءت خيالة وأحاطوا بنا من كل جانب ، فوثب الذين معنا عاجلا إلى الزورق ، فنزلوا فيه وسار بهم فى النهر . و بقيت أنا وعلى ابن بكار وشمس النهار على شاطىء النهر ، لا نستطيع حركة ولا سكونا، فقال لنا الخيالة : من أنتم ؟

فتحيرنا فى الجواب ، ثم قلت لهم : إن الذين رأيتموهم معنا لا نعرفهم ، و إنما رأيناهم ههنا ؛ وأما نحن فمغنون ، وقد أرادوا أخذنا لنغنى لهم ، فما تخلصنا منهم إلا بالحيلة ولين الكلام ؛ فأفرَجوا عنا فى هذه الساعة ، وقد كان منهم ما رأيتم من أمرهم .

فنظر الخيالة إلى شمس النهار و إلى على بن بكار ، ثم قالوا لى : لست صادقا ، فأخبرنا من أنتم ؟ ومن أين أنتم ؟ وما موضعكم ؟ وفى أى الحارات أنتم ساكنون ؟

فلم أدر ما أقول ، فوثبت شمس النهار ، وتقدمت إلى مقدم الخيالة ، وتحدثت معه سرا ، فنزل من فوق جواده وأركبها عليه ، وأخذ بلجامه وصار يقودها ، وكذلك فعل بعلى بن بكار ، وفعل بى أيضا . ثم إن مقدم الخيالة لم يزل سائرا بنا إلى موضع على جانب البحر ، وصاح بالرطانة ، فأقبل إليه جماعة من البرية ؛ فطلعنا فى زورق ، وطلع أصحابه فى زورق آخر ، وجدفوا بنا إلى أن انتهينا إلى دار الخلافة ، ونحن نكابد الموت من شدة الخوف . فدخلت شمس النهار ، وأما نحن فرجعنا ، ولم نزل سائرين إلى أن انتهينا إلى مكان نتوصل منه إلى بيوتنا على البر ؛ فمشينا ومعنا جماعة من الخيالة يؤانسوننا إلى أن دخلنا دار على بن بكار ، وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة ومضوا إلى حال سبيلهم . وأما نحن فقد دخلنا الدار ونحن لا نقدر أن نتحرك من مكاننا ، ولا ندرى الصباح من المساء ؛ ولم نزل على هذه الحال إلى أن أصبح الصباح . فلما جاء آخر النهار سقط على بن بكار مغشيا عليه ، و بكى عليه النساء والرجال ، وهو مطروح لا يتحرك ، فجاءنى بعض أهله وقالوا : حدثنا بما جرى لولدنا ، وأخبرنا بسبب الحال الذى هو فيه .

فقلت لهم : يا قوم ، اسمعوا كلامى .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الجوهرى قال : يا قوم اسمعوا كلامى ، ولا تفعلوا بى مكروها ، واصبروا وهو يفيق و يخبركم بقصته بنفسه .

ثم شددت عليهم ، وخوفتهم من الفضيحة بينى و بينهم .

فبينما نحن كذلك ، إذ بعلى بن بكار تحرك فى فراشه ، ففرح أهله ، وانصرف الناس عنه ، ومنعنى أهله من الخروج من عنده . ثم رشوا ماء الورد على وجهه ، فلما أفاق صاروا يسألونه عن حاله ، فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جوابا بسرعة . ثم أشار إليهم أن يطلقونى لأذهب إلى منزلى ، فأطلقونى . فخرجت وأنا لا أصدق بالخلاص ، وأتيت إلى دارى بين رجلين ، حتى وصلت إلى أهلى . فلما رأونى على تلك الحال لطموا على وجوههم ، فأومأت إليهم بيدى أن اسكتوا ، فسكتوا .

وانصرف الرجلان إلى حال سبيلهما ، ونمت بقية ليلتى ، ولم أفق إلى وقت الضحى ، فوجدت أهلى مجتمعين حولى يقولون : ما الذى دهاك ، و بشره رماك ؟

فقلت : قد كان ما كان .

فانصرفوا إلى حال سبيلهم .

ثم اعتذرت إلى أصحابي ، وسألتهم عما ذهب من داري هل عاد منه شيء ؟

فقالوا : عاد بعضه ، وذلك أن إنسانا جاء ووضعه أمام باب الدار ولم نره .

فسليت نفسي ، وأقمت في مكاني يومين ، وأنا لا أقدر على القيام من محلي . ثم قويت ، ومشيت حتى دخلت الحمام ، وأنا قلبي مشغول من جهة علي بن بكار وشمس النهار . ولم أسمع لهما خبرا في تلك المدة ، ولم أستطع الوصول إلى دار علي بن بكار ، ولم يستقر لي قرار في مكاني خوفا على نفسي ؛ ثم تبت إلى الله عما صدر مني ، وحمدته على سلامتي .

و بعد مدة حدثتني نفسي أن أقصد تلك الناحية وأرجع في ساعة ، فلما أردت السير رأيت امرأة واقفة ، فتأملتها ، فإذا هي جارية شمس النهار . فلما عرفتها سرت وهرولت في سيري ، فتبعتني ، فداخلني منها الفزع ، وصرت كلما أنظرها يأخذني الرعب منها ، وهي تقول لي : قف حتى أحدثك بشيء .

وأنا لا ألتفت إليها . ولم أزل سائرا إلى مسجد في موضع خال من الناس ، فقالت لي : ادخل هذا المسجد لأقول لك كلمة ، ولا تخف من شيء .

وحلفتني ، فدخلت المسجد ودخلت خلفي ، فصليت ركعتين ، ثم تقدمت إليها وأنا أتأوه ، وقلت لها : ما حالك ؟

فسألتنى عن حالى ، فحدثتها بما وقع لى ، وأخبرتها بما جرى لعلى ابن بكار ، وقلت لها : ما خبرك ؟

فقالت : اعلم أنى لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ، ودخلوا ، خفت منهم ، وخشيت أن يكونوا من عند الخليفة فيأخذونى أنا وسيدتى ، فنهلك من وقتنا . فهربت من السطوح أنا والوصيفتان ، ورمينا بأنفسنا من مكان عال ، ودخلنا على قوم ، فهربنا من عندهم ، حتى وصلنا إلى قصر الخلافة ، ونحن على أقبح صفة . ثم أخفينا أمرنا ، وصرنا نتقلب على الجمر إلى أن جن الليل ؛ ففتحت باب البحر ، واستدعيت الملاح الذى أخرجنا تلك الليلة وقلت له : إن سيدتى لم نعلم لها خبرا ، فاحملنى فى الزورق حتى أفتش عليها فى البحر ، لعلى أقع على خبرها .

فحملنى فى الزورق وسار بى ، ولم أزل سائرة فى البحر حتى انتصف الليل ، فرأيت زورقا أقبل إلى جهة الباب ، وفيه رجل يجدف ، ومعه رجل آخر ، وامرأة مطروحة بينهما . ولا زال يجدف حتى وصل إلى البر . فلما نزلت المرأة تأملتها فإذا هى شمس النهار ، فنزلت إليها وقد دهشت من الفرحة ، لما رأيتها بعد ما قطعت الرجاء منها .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائة) ، قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية قالت للجوهري : فنزلت إليها ، وقد دهشت من الفرح ، بعد أن قطعت الرجاء منها . فلما تقدمت بين يديها أمرتني أن أدفع



إلى الرجل الذى جاء بها ألف دينار ، ثم حملتها أنا والوصيفتان ، إلى أن ألقيناها على فراشها ، فأقامت تلك الليلة على حالة مكدرة . فلما أصبح الصباح منعت الجوارى والخدم من الدخول عليها ، والوصول إليها ذلك اليوم . وفى ثانى يوم أفاقت ، فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة ، فرششت على وجهها ماء به الورد ، وغيرت ثيابها ، وغسلت يديها ورجليها؛ ولم أزل ألاطفها حتى أطعمتها شيئا من الطعام ، وأسقيتها شيئا من الأشربة ، وهى ليس لها قابلية فى شىء من ذلك . فلما تنسمت الهواء ، وتوجهت إليها العافية ، قلت لها ، يا سيدتى ارفقى بنفسك ، فقد أصابك من المشقة ما فيه الكفاية ، فإنك أشرفت على الهلاك .

فقالت : والله يا جارية الخير إن الموت عندى أهون مما جرى لى ، فإنى كنت مقتولة لامحالة ، لأن اللصوص لما خرجوا بنا من دار الجوهرى سألونى وقالوا : « من أنت وما شأنك ؟ » ، فقلت : « أنا جارية من المغنيات » ، فصدقونى ، ثم سألوا على بن بكار عن نفسه وقالوا : « من أنت وما شأنك ؟ » ، فقال : « أنا من عوام الناس » ، فأخذونا وسرنا معهم إلى أن انتهوا بنا إلى موضعهم ، ونحن نسرع فى السير معهم من شدة الخوف . فلما استقروا بنا فى أماكنهم تأملونى ونظروا ما على من الملبوس والعقود والجواهر ، فأنكروا أمرى ، وقالوا : « إن هذه العقود لا تكون لواحدة من المغنيات » . ثم قالوا : « أصدقينا وقولى لنا

الحق ، وما قضيتك؟» ، فلم أرد عليهم جوابا بشيء ، وقلت في نفسي : «الآن يقتلونني لأجل ماعلي من الحلي والحلل» ، فلم أنطق بكلمة ، ثم التفتوا إلى علي بن بكار وقالوا له : «من أين أنت ؟ فإن رؤيتك غير رؤية العوام» ، فسكت ، وصرنا نكتم أمرنا ونبكي ، فحنن الله علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا : «من صاحب الدار التي كنتما فيها؟» . فقلنا لهم : «صاحبها فلان الجوهري» ، فقال واحد منهم : «أنا أعرفه حق المعرفة ، وأعرف أنه ساكن في داره الثانية ، وعليّ أن آتيكم به في هذه الساعة» .

واتفقوا على أن يجعلوني في موضع وحدي ، وعلي بن بكار في موضع وحده ، وقالوا لنا : «استريحا ، ولا تخافا أن ينكشف خبركما ، وأنتما في أمان منا» .

ثم إن صاحبهم مضى إلى الجوهري وأتى به ، وكشف أمرنا لهم ، واجتمعنا عليه ؛ ثم إن رجلا منهم أحضر لنا زورقا وأطلعونا فيه ، وعدوا بنا إلى الجانب الثاني ، وأخرجونا إلى البر وذهبوا ، فأتت خيالة من أصحاب العسس وقالوا : «من تكونون ؟» فتكلمت مع مقدم العسس وقلت له : «أنا شمس النهار محظية الخليفة ، وقد سكرت وخرجت لبعض معارفي من نساء الوزراء ، فجاءني اللصوص فأخذوني وأوصلوني إلى هذا المكان ، فلما رأوكم فروا هاربين ، وأنا قادرة على مكافأتك» . فلما سمع مقدم الخيالة كلامي عرفني ، ونزل عن مركوبه وأركبني ، وفعل كذلك مع علي

ابن بكار والجوهري ، وفي كبدي الآن من أجلهما لهيب النار ، ولا سيما الجوهري رفيق ابن بكار . فامضي إليه وسلمي عليه ، واستخبريه عن علي بن بكار .

فلمتها على ما وقع منها ، وحذرتها وقلت لها : يا سيدتي خافي على نفسك .

فصاحت عليّ ، وغضبت من كلامي ، ثم قمت من عندها وجئت فلم أجدك ، وخشيت من الرواح إلى ابن بكار ، فصرت واقفة أرتقبك حتى أسألك عنه ، وأعلم ما هو فيه ، فأسألك من فضلك أن تأخذ مني شيئا من المال ، فإنك ربما استعرت أمتعة من أصحابك ، وضاعت عليك ، فتحتاج أن تعوض الناس مما ذهب لهم من الأمتعة عندك .

قال الجوهري : فقلت : سمعا وطاعة .

ثم مشيت معها إلى أن أتينا إلى قرب محلي ، فقالت لي : قف هنا حتى أعود إليك .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام .

(فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الجارية قالت للجوهرى : قف هنا حتى أعود إليك . ومضت ثم عادت وهى حاملة المال ، فدفعته للجوهرى ، وقالت له : يا سيدى فى أى محل نجتمع بك ؟

قال الجوهرى : فقلت : أتوجه إلى دارى فى هذه الساعة ، وأتحمل الصعوبة لأجل خاطرك ، وأتدبر فيما يوصلك إليه ، فإنه يتعذر الوصول إليه فى هذا الوقت .

ثم ودعتنى ومضت ، فحملت المال وأتيت به إلى منزلى ، وعددت المال فوجدته خمسة آلاف دينار ؛ فأعطيت أهلى منه شيئا ، ومن كان له عندى شىء أعطيته عوضا عنه . ثم إنى أخذت غلمانى وذهبت إلى الدار التى ضاعت منها الأمتعة ، وجئت بالنجارين والبنائين ، فأعادوها إلى ما كانت عليه ، وجعلت جاريتى فيها ، ونسيت ما جرى لى . ثم تمشيت وأتيت إلى دار على بن بكار ، فلما وصلت إليها أقبل غلمانه على ، وقال لى واحد منهم : إن غلمان سيدى فى طلبك ليلا نهارا ، وقد وعدهم أن كل من أتاه بك يعتقه ، فهم يفتشون عليك ، ولم يعرفوا لك موضعا . وقد رجعت إلى سيدى عافيته ، وهو تارة يفيق وتارة يستغرق ؛

فحينما يفيق يذكرك ، ويقول : « لابد أن تحضروه لى لحظة » ، ويعود إلى ما كان عليه .

فمضيت مع الغلام إلى سيده ، فوجدته لا يستطيع الكلام ، فلما رأيته جلست عند رأسه ، ففتح عينيه ، فلما رآنى بكى وقال لى : أهلا ومرحبا .

ثم أسندته وأجلسته ، وضممته إلى صدرى . فقال لى : اعلم يا أخى أنى من حين رقدت ما جلست إلا فى هذه الساعة ، فالحمد لله على مشاهدتك .

فلم أزل أسنده حتى أوقفته على رجليه ، وأمشيته خطوات ، وغيرت أثوابه ، وشرب شرابا ؛ فلما رأيت عليه علامة العافية حدثته بما كان من الجارية ، ولم يسمعنى أحد ، ثم قلت له : شد حَيْلك ، فأنا أعرف ما بك .

فتبسم ، فقلت له : إنك لا تجد إلا ما يسرك ويداويك .

ثم إن على بن بكار أمر بإحضار الطعام فأحضروه ، وأشار إلى غلمانه فتفرقوا ، ثم قال لى : يا أخى ، هل رأيت ما أصابنا ؟

واعتذر لى ، وسألنى عن حالى فى هذه المدة ، فأخبرته بجميع ما جرى لى من الأول إلى الآخر ، فتعجب ، ثم قال للخدم : ائتونى بكذا وكذا .

فأتوه بفرش نفيس،وغير ذلك من تعاليق الذهب والفضة أكثر من الذى ضاع لى ، وأعطانى جميع ذلك ، فأرسلته إلى منزلى ، وأقمت عنده ليلتى ، فلما أسفر الصبح قال لى : اعلم أن لكل شىء نهاية ، ونهاية الهوى الموت أو الوصال ، وأنا إلى الموت أقرب ؛ فيا ليتنى مت من قبل الذى جرى ، ولولا أن الله لطف بنا لافتضحنا . ولا أدرى ما الذى يوصلنى إلى الخلاص مما أنا فيه ، ولولا خوفى من الله تعالى لعجلت إلى نفسى الهلاك . واعلم يا أخى أننى كالطير فى القفص ، وأن نفسى هالكة من الغصص ، ولكنْ لها وقت معلوم ، وأجل محتوم .

ثم أفاض دمع العين ، وأنشد هذين البيتين :

شكا ألمَ الفراق الناس قبلى ورُوِّعَ بالنَّوى حىٌّ ومَيْتُ
وأما مثل ما ضمّت ضلوعى فإنى ما سمعت ولا رأيتُ

فلما فرغ من شعره قلت له : يا سيدى ، اعلم أنى عزمت على الذهاب إلى دارى ، فلعل الجارية ترجع إلى بخبر

فقال على بن بكار : لا بأس بذلك ، ولكن أسرع بالعودة عندنا لأجل أن تخبرنى .

فودعته وانصرفت إلى دارى ، فلم يستقر بى الجلوس حتى رأيت الجارية أقبلت ، وهى فى بكاء ونحيب ، فقلت لها : وما سبب ذلك ؟

فقالت : يا سيدى ، اعلم أنه حل بنا من الأمر ما كنا نخافه ، فإنى لما مضيت من عندك بالأمس وجدت سيدتى متغيظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة ، وأمرت بضربها ، فخافت من سيدتها وهربت ، فلقيها بعض الموكلين بالباب ، وأراد ردها إلى سيدتها ، فلوحت له بالكلام فلاطفها ، واستنطقها عن حالها ، فأخبرته بما كنا فيه ، فبلّغ الخبر إلى الخليفة ، فأمر بنقل سيدتى شمس النهار وجميع مالها



إلى دار الخلافة ، ووكل بها عشرين خادما ، ولم أجتمع بها إلى الآن . فخشيت على نفسى ، واحترت يا سيدى ، ولم أدر كيف أحتال فى أمرى وأمرها ، ولم يكن عندها أحفظ لكتمان السر منى .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الجارية قالت للجوهرى : إن سيدتى لم يكن عندها أحفظ لكتمان السر منى ، فتوجه يا سيدى إلى على بن بكار سريعا ، وأخبره بذلك لأجل أن يكون على أهبة ، فإذا انكشف الأمر نتدبر فى شىء نفعله لنجاة أنفسنا .

فأخذنى من ذلك هم عظيم ، وصار الكون فى وجهى ظلاما من كلام الجارية ، وهمت الجارية بالانصراف ، فقلت لها : وما الرأى ؟

فقالت لى : الرأى أن تبادر إلى على بن بكار ، إن كان صديقك وتريد له النجاة ، وأنت عليك تبليغ هذا الخبر له بسرعة ، وأنا علىّ أن أتقيد باستنشاق الأخبار .

ثم ودعتنى وخرجت ، فلما خرجت الجارية قمت وخرجت فى أثرها ، وتوجهت إلى على بن بكار ، فوجدته يحدث نفسه بالوصال ، ويعللها بالمحال . فلما رآنى رجعت إليه عاجلا قال لى : إنى أراك رجعت إلى فى الحال .

فقلت له : أقصر من التعلق بالمحال ، ودع ما أنت فيه من الأشغال ، فقد حدث حادث يفضى إلى تلف نفسك ومالك .

فلما سمع هذا الكلام تغيرت حاله ، وانزعج ، وقال : يا أخى ، أخبرنى بما وقع .

فقلت له : يا سيدى ، اعلم أنه قد جرى ما هو كذا وكذا ، وأنك إن أقمت فى دارك هذه إلى آخر النهار فأنت ، تالف ولا محالة .

فبهت على بن بكار ، وكادت روحه تفارق جسده ، ثم استرجع بعد ذلك وقال لى : ماذا تفعل يا أخى ؟ وما عندك من الرأى ؟

فقلت له : الرأى أن تأخذ معك من مالك ما تقدر عليه ، ومن غلمانك ما تثق به ، وأن تمضى بنا إلى ديار غير هذه قبل أن ينقضى هذا النهار .

فقال لى : سمعاً وطاعة .

ثم وثب وهو متحير فى أمره ، فتارة يمشى ، وتارة يقع ، وأخذ ما قدر عليه ، واعتذر إلى أهله ، وأوصاهم بمقصوده ، وأخذ معه ثلاثة جمال محملة ، وركب دابه ؛ وقد فعلت أنا كما فعل . ثم خرجنا خفية ، وسرنا ، ولم نزل سائرين باقى يومنا وليلتنا فلما كان آخر الليل حططنا حمولنا ، وعقلنا جمالنا ونمنا ، فخل علينا التعب . وغفلنا عن أنفسنا ، وإذا باللصوص أحاطوا بنا ، وأخذوا جميع ما كان معنا ، وقتلوا الغلمان لما أرادوا أن يمنعوا عنا ، ثم تركونا مكاننا ونحن فى أقبح حال ، بعد أن



أخذوا المال وساروا . فلما قمنا مشينا إلى أن أصبح الصباح ، فوصلنا إلى بلد فدخلناه ، وقصدنا المسجد ونحن فى شر حال ، وجلسنا باقى يومنا . فلما جاء الليل بتنا فى المسجد تلك الليلة ، ونحن من غير أكل ولا شرب . ولما أصبح الصباح صلينا الصبح وجلسنا ، وإذا برجل داخل ، فسلم علينا وصلى ركعتين ، ثم التفت إلينا وقال : يا جماعة ، هل أنتم غرباء ؟

قلنا : نعم ، وقطع اللصوص علينا الطريق ، ودخلنا هذه البلدة ، ولا نعرف فيها أحدا نأوى إلى بيته .

فقال لنا الرجل : هل لكم أن تقوموا معى إلى دارى ؟

فقلت لعلى بن بكار : قم بنا معه فننجو من أمرين ، الأول أننا نخشى أن يدخل علينا أحد يعرفنا فى هذا المسجد فنفتضح ، والثانى أننا ناس غرباء وليس لنا مكان نأوى إليه .

فقال على بن بكار : افعل ما تريد .

ثم إن الرجل قال لنا ثانى مرة : يا فقراء أطيعونى وسيروا معى إلى مكانى .

فقلت له : سمعاً وطاعة .

ثم إن الرجل خلع لنا شيئا من ثيابه ، وألبسنا ولاطفنا ، فقمنا معه إلى داره . فطرق الباب ، فخرج إلينا خادم صغير وفتح الباب ، فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه . ثم إن الرجل أمر بإحضار (بقجة) فيها أثواب (وشاشات) ، فألبسنا حلتين ، وأعطانا (شاشين) ، فتعممنا وجلسنا ؛ وإذا بجارية أقبلت إلينا بمائدة ووضعتها بين أيدينا ، فأكلنا شيئا يسيرا ، ورفعت المائدة . ثم أقمنا عنده إلى أن دخل الليل ، فتأوه على بن بكار وقال لى : يا أخى اعلم أننى هالك لا محالة ، وأريد أن أوصيك وصية ، وهو أنك إذا رأيتنى مت ، تذهبُ إلى والدتى وتخبرها أن تأتى إلى هذا المكان ، لأجل أن تتلقى عزائى وتحضر غسلى ، وأوصها أن تكون صابرة على فراق .

ثم وقع مغشيا عليه ، فلما أفاق سمع جارية تغنى من بعيد ، وتنشد الأشعار ، فصار يصغى إليها ويسمع صوتها ، وهو تارة يفقد الوعى ، وتارة يصحو ، وتارة يبكى شجنا وحزنا مما أصابه ؛ فسمع الجارية تطرب بالنغمات ، وتنشد هذه الأبيات :

عجل البين بيننا بالفــراق   بعد إلف وحيرة واتفــاق

فرّقت بيننا صروف الليالى   ليت شعرى متى يكون التلاقى

ما أمرّ الفراق بعد اجتماع   ليته ما أضر بالعشـــاق

غصّة الموت ساعة ثم تُقْضَى   وفراق الحبيب فى القلب باقى

لو وجدنا إلى الفراق سبيلا   لأذقنا الفراق طعم الفراق

فلما سمع ابن بكار إنشاد الجارية ، شهق شهقة ، ففارقت روحه جسده .

فلما رأيته مات قلت : إننى متوجه إلى بغداد لأخبر والدته وأقارب به ، حتى يأتوا ليجهزوه .

ثم توجهت إلى بغداد ، ودخلت دارى وغيرت ثيابى ، و بعد ذلك ذهبت إلى دار على بن بكار . فلما رآنى غلمانه أتوا إلىَّ وسألونى عنه ؛ وسألتهم أن يستأذنوا لى والدته فى الدخول عليها ، فأذنت لى فى الدخول. فدخلت وسلمت عليها ، وقلت : إن الله إذا قضى أمرا لا مفر من قضائه ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا .

فتوهمت أم على بن بكار من هذا الكلام أن ابنها قد مات ، فبكت بكاء شديدا ، ثم قالت : بالله عليك أخبرنى هل توفى ولدى ؟

فلم أقدر أن أرد عليها جوابا من كثرة الجزع ، فلما رأتنى على تلك الحال اختنقت بالبكاء ، ثم وقعت على الأرض مغشيا عليها . فلما أفاقت من غشيتها قالت : ما كان من أمر ولدى ؟

فقلت لها : عظم الله أجرك فيه .

ثم إنى حدثتها بما كان من أمره من المبتدأ إلى المنتهى .

قالت : هل أوصاك بشيء ؟

فقلت لها : نعم . وأخبرتها بما أوصانى به . وقلت لها : أسرعى فى تجهيزه .

فلما سمعت أم على بن بكار كلامى سقطت مغشيا عليها. فلما أفاقت عزمت على ما أوصيتها به . ثم إنى رجعت إلى دارى، وسرت فى الطريق أتفكر فى حسن شبابه ، فبينما أنا كذلك إذ بامرأة قد قبضت على يدى .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٦٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الجوهرى قال : و إذا بامرأة قد قبضت على يدى ، فتأملتها فرأيتها الجارية التى كانت تأتى عند شمس النهار ، وقد علاها الانكسار ، فلما تعارفنا بكينا جميعا ، وسرنا حتى أتينا إلى تلك الدار ، فقلت لها : هل علمت بخبر على بن بكار ؟

فقالت : لا والله .

فأخبرتها بخبره ، وما كان من أمره ، ثم إني قلت لها : فكيف حال سيدتك ؟

فقالت : لم يقبل فيها أمير المؤمنين قول أحد لشدة محبته لها ، وقد حمل جميع أمورها على المحامل الحسنة ، وقال لها : يا شمس النهار أنت عندي عزيزة ، وأنا أتحملك على رغم أعدائك .

ثم أمر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة ، وصارت عنده في قبول عظيم . فاتفق أنه جلس يوما من الأيام على جري عادته للشراب ، وحضرت المحاظي بين يديه ، فأجلسهن في مراتبهن ، وأجلسها بجانبه ، وقد عدمت صبرها ، وزاد أمرها ؛ فعند ذلك أمر جارية من الجواري أن تغني ، فأخذت العود وضربت به ، وجعلت تقول :

وداع دعاني للهوى فأجبتُه ودمعي يخط الوجد خطًا على خدي
كأن دموع العين تخبر حالنا فتُبدي الذي أخفي وتُخفي الذي أبدي
فكيف أروم السرّ أو أكتم الهوى وفرط غرامي فيك يُظهر ما عندي
وقد طاب موتي عند فقد أحبتي فياليت شعري ما يطيب لهم بعدي

فلما سمعت شمس النهار إنشاد تلك الجارية ، لم تستطع الجلوس ، ثم سقطت مغشيا عليها . فرمى الخليفة القدح ، وجذبها عنده وصاح ، وضجت الجواري . وقلبها أمير المؤمنين فوجدها ميتة، فحزن أمير المؤمنين

لموتها ، وأمر أن يكسر جميع ما كان فى الحضرة من الآلات والقوانين . وحملها فى حجره بعد موتها ، ومكث عندها باقى ليلته . فلما طلع النهار جهزها وأمر بغسلها ودفنها ، وحزن عليها حزنا كثيرا ، ولم يسأل عن حالها ولا عن الأمر الذى كانت فيه .



ثم قالت الجارية : سألتك بالله أن تعلمنى بوقت خروج جنازة على بن بكار ، وأن تحضرنى دفنه .

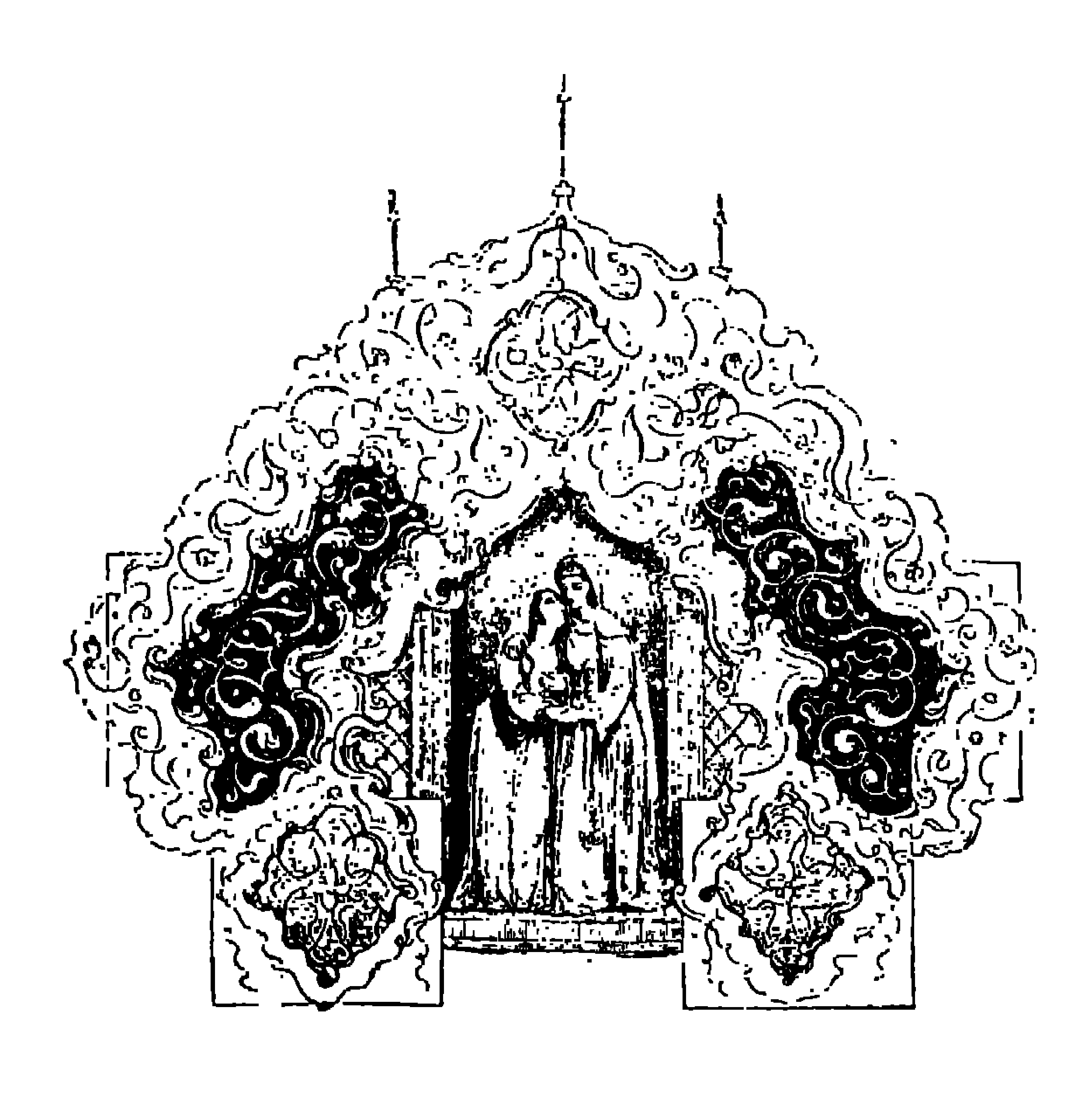
فقلت لها : أما أنا ففى أى محل شئت تجدينى ، وأما أنت فمن يستطيع الوصول إليك فى المحل الذى أنت فيه ؟

فقالت لى : إن أمير المؤمنين لما ماتت شمس النهار أعتق جواريها من يوم موتها ، وأنا من جملتهن ، ونحن مقيمات على تربتها فى المحل الفلانى .

فقمت معها ، وأتيت إلى المقبرة ، وزرت شمس النهار ، ثم مضيت إلى حالى . ولم أزل أنتظر جنازة على بن بكار إلى أن جاءت ، فخرج له أهل بغداد وخرجت معهم ، فوجدت الجارية بين النساء وهى أشدهن حزنا . ولم أر جنازة ببغداد أعظم من هذه الجنازة ، ومازلنا فى ازدحام عظيم ، إلى أن انتهينا إلى قبره ودفناه ، وصرت لا أنقطع عن زيارته ، ولا عن زيارة شمس النهار .

وهذا ما كان من حديثهما ، وليس هذا بأعجب من حديث قمر الزمان ، بن الملك شهرمان .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .



القصة التالية

قمر الزمان

ألف ليلة وليلة

مراجعة الأستاذين

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

١ ـ التاجر والعفريت
٢ ـ الصياد والعفريت
٣ ـ الحمال والبنات
٤ ـ نور الدين وشمس الدين
٥ ـ الخياط والأحدب
٦ ـ أنيس الجليس
٧ ـ غانم وقوت القلوب
٨ ـ العاشق والمعشوق
٩ ـ الطيور والحيوانات وابن آدم
١٠ ـ على بكار وشمس النهار
١١ ـ قمر الزمان
١٢ ـ الأمجد والأسعد
١٣ ـ نعم ونعمة

دار مصر للطباعة